قسم الله في القرآن

عبدالله بن محمد بن محمد بن يحيى

ⓒ عبدالله بن محمد بن يحيى ، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن يحيى ، عبدالله بن محمد

قسم الله في القرآن / عبدالله بن محمد بن يحيى ، جدة

١٤٢٨هـ

١٢٤ ص ، سم

ردمك : ٠-٨٧٢-٥٧-٩٩٦٠

١- القرآن - أقسام ٢- القسم أ. العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٤٢٨/٣٣٨٣

رقم الإيداع : ١٤٢٨/٣٣٨٣

ردمك : ٠-٨٧٢-٥٧-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م


بسم الله الرحمن الرحيم
١٣٧٤

شكـــر وتقـديـر

وما كان هذا العمل أن يرى النور إلا بمشاركة بنـــاءة مـــن قلوب مفعمة بالخير آمنت بالعلم ، وما حواه هذا الجهد من فوائد تعم الجميع ، وتكون مشاركة متواضعة تثمر النفع والخير الجزيل وأخص بالشكر والتقدير .

الأخ الشيخ / سالم بن أحمد بن سلامة بن محفوظ

الذي كان له السعي الخيّر والبذل في طباعة وتقديم هذا العمل،،،،

وبالله التوفيق ....

قسم الله
في القرآن

مقـدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الذي مَنَّ علينا بالإسلام والقرآن هدياً ونوراً، ونبعاً لا ينضب نستقي منه، ونعب من حلاوته ما استطعنا فهو تبصرة لنا حتى تقوم الساعة.

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أقدم للقارئ هذا الاجتهاد المتواضع راجياً به عفو الله ورضاه. لقد ألهمني الله بعد أن صدر لي كتاب (**كلا في القرآن الكريم**) وكتاب (**الاستفهامات في القرآن**) أن أحصر (قسم الله في القرآن) واجتهد في إخراجه لعامة المسلمين. نفعني الله وإياهم بتلاوة القرآن وتدبره لرفع الشوائب عن نفوسنا كي نحيد عن ارتكاب ما يغضب الله راجين مغفرته فيسلنا سل الشعرة من العجين يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، يقول وقوله الحق ﴿**أدخلوها بسلام آمنين**﴾.

وقد أقسم الله بشيء من مخلوقاته العظيمة، والله الخالق له أن يقسم بما يشاء. وقسمه تذكيراً ورحمةً بعباده عز وجل. ومع هذا فالعباد واقعين ومنغمسين في المعاصي الجسام.. ومنهم من أنكر يوم البعث. فأمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ أن يؤكد للناكرين بيوم البعث بالقسم بجلال الله وعظمته لما للقسم تأكيد للقول والعمل فقال تعالى: ﴿**ويستنبئونك أحق هو قل أي وربي أنه لحق وما أنتم**

بمعجزين﴾ (سورة يونس اية ٥٣) ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم﴾ (سورة سبأ اية ٣) ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ (سورة التغابن اية ٧)، ويبقى القرآن ما بقيت الحياة تؤكد بهذا القسم أن البعث لا ريب فيه بأنه لا محالة. وهو من أركان الإيمان، ولأهمية الإيمان به تكرر في القرآن الكريم وأعطى القرآن مشاهد كثيرة لهذا اليوم. حتى يستقيم سلوك الإنسان. ويعيش على ظهر الأرض بسلمٍ وأمان مخافة الإخلال والإنزلاق في أمور لا ترضي الله عز وجل فتزلق قدماه في ذلك اليوم وتتعثر على الصراط، ويحاسب حساباً عسيراً.

وقد تمادى الكفار وتجاوزوا حدودهم بقذف القرآن ونَعْته بما ليس بأهله. فجاء إعجاز القرآن في فواتح بعض السور (حروف) مثل: ﴿الم، الر، حم، ص، ق، طس﴾ ويلي تلك الحروف تأكيد، أن القرآن من كلام الله عز وجل، مثل:

﴿الم.. ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾

﴿حم.. تنزيل من الرحمن الرحيم﴾

وهو وحي، أوحي على نبيه محمد ﷺ.

وقد كان المشركون يمنعون سماع القرآن خشية التأثر به. ونظراً لأن العرب أهل لغة وفصاحة فقد جاءت فواتح بعض السور بهذه (الحروف) للفت النظر واستيقافهم حتى يسمعوا.

ولما نسبوا القرآن أنه شعر وقول آخر سحر وقول الكهان وقالوا أساطير، تحداهم الله عز وجل بالإتيان بمثله فعجزوا. فتحداهم بعشر سور:

﴿قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ (هود ١٣).

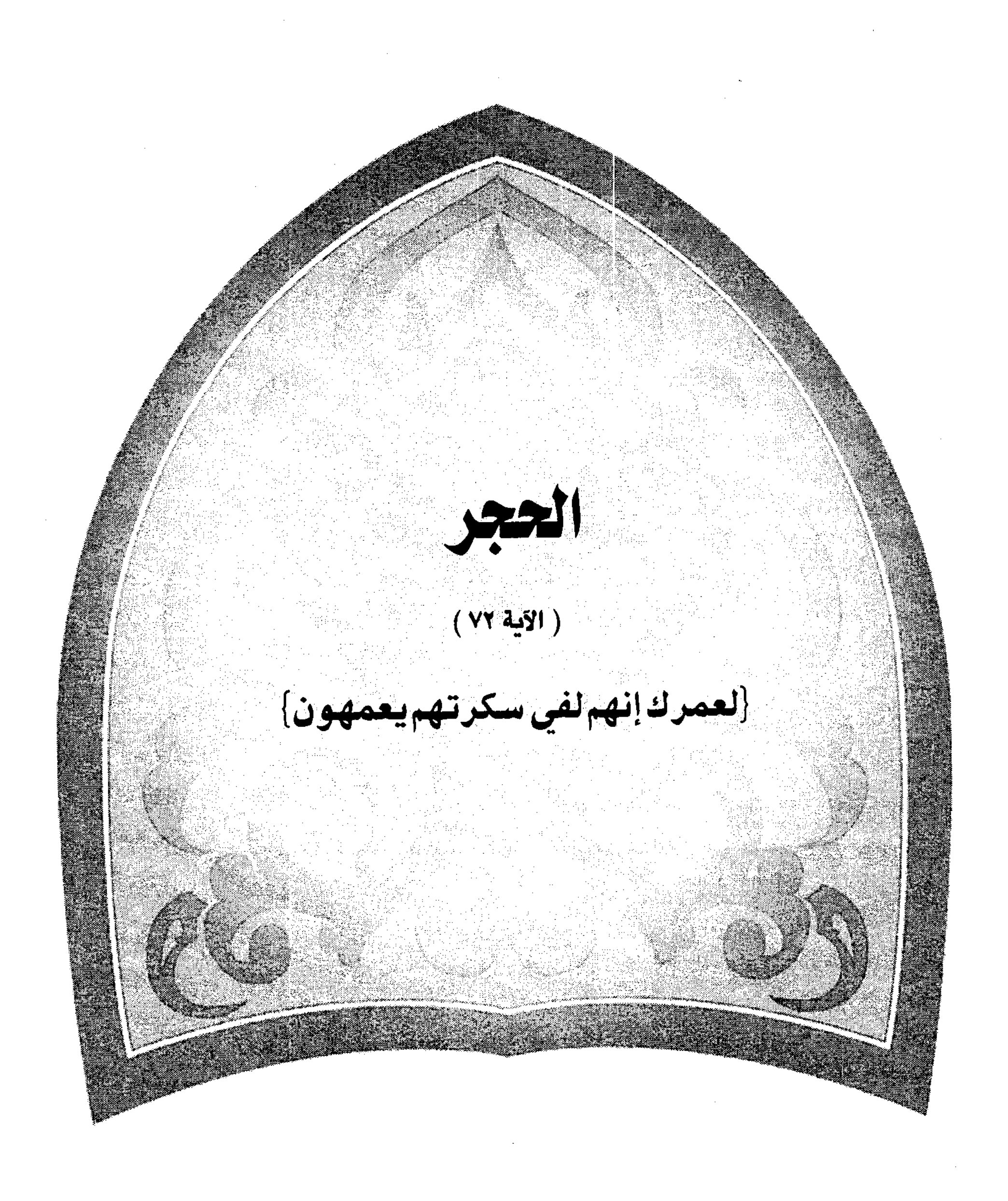
فعجزوا، فتحداهم بسورة:

﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ (سورة البقرة ٢٣).

فعجزوا. فأعلمهم إن هذا الكتاب الذي أعجزهم هو كلام الله، وهو مؤلف من مثل هذه الحروف، فهل بمقدوركم تأليف نظيره من الحروف الأبجدية فعجزوا. من هنا قامت عليهم الحجة لعجزهم. فلا شك في أن القرآن من كلام الله أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ.

ارجو من الله العظيم أنني وفقت في اختيار المادة لهذا الكتاب (قسم الله في القرآن). ويغفر لي إن كنت مقصراً ولم أعط الموضوع حقه. فهذا جهدي وعلمي. فعلمني الله ما أجهله. وزودني بعلم نافع أنشره بين خلقك ابتغاء مرضاتك. والحمد لله رب العالمين.

عبدالله بن محمد بن محمد بن يحيى



الحجر

(الآية ٧٢)

{لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون}

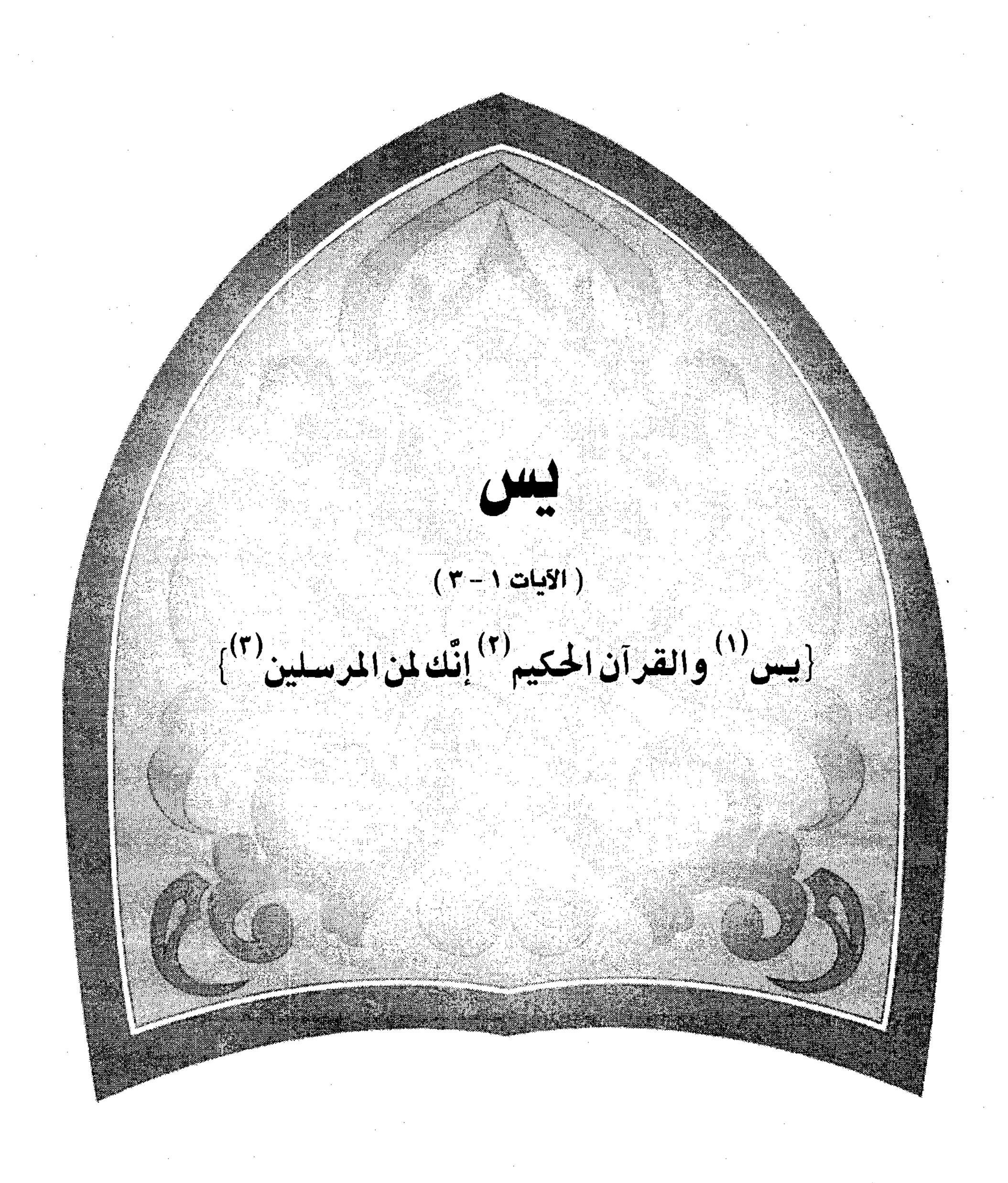
أقسم الله تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه. وهذا تشريفاً عظيماً ومقاماً رفيعاً وجاهاً عريضاً لنبيه ﷺ. وعن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وبرأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ﴿**لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون**﴾.

وقال صاحب الفتوحات الإلهية: اخرج ابن مردويه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، قال: ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ - الآية - .

والعُمْر والعَمْر واحد، إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الأخف (لَعَمْرِكَ). يقول الحق جل جلاله، وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا ﴿**إنهم لفي سكرتهم يعمهون**﴾.. (سكرتهم) أي في ضلالهم (يعمهون) يلعبون وفي حيرتهم يترددون.

﴿**لَعَمْرِكَ إنهم لفي سكرتهم يعمهون**﴾ لقد وردت الأحاديث الصحيحة في النهي عن القسم بغير الله، فليس لعباده أن يقسموا بغيره، وهو سبحانه وتعالى يقسم بما يشاء من مخلوقاته ويقسم بذاته كقوله: ﴿**وعزتي وجلالي**﴾.. ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ (الأنبياء ٢٣).

أجمع المفسرون أن الله أقسم بحياة محمد تشريفاً له. وورد في التفاسير أنه لم يقسم بحياة أحد غير محمد ﷺ وذلك لتكريمه على سائر مخلوقاته من إنس وجن والمخلوقات الأخرى. فهو أكرم البرية.. واختاره من سائر عباده (حبيبه) فإبراهيم خليله وموسى كليمه ومحمد حبيبه صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً. فإن فكر المضللون أن الله أقسم بالتين والزيتون والضحى والشمس والليل ونحو ذلك فنقول: لفضل تلك المخلوقات على جنسها، ولكن قسمه بمحمد ﷺ لتفضيله على جميع خلقه، والله أعلم مني بذلك.

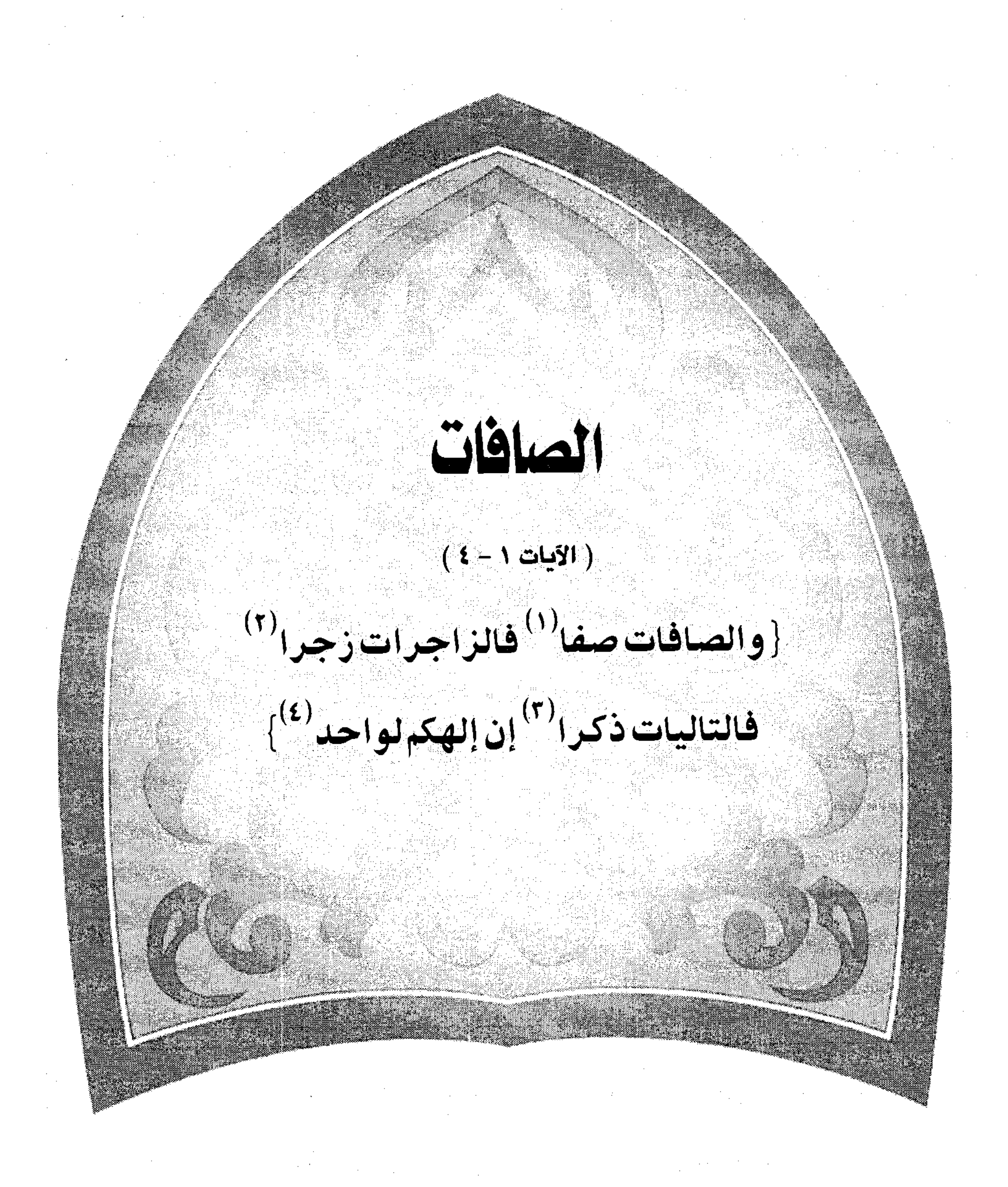

يس
(الآيات ١ - ٣)
{يس (١) والقرآن الحكيم (٢) إنّك لمن المرسلين (٣)}

هي سورة مكية.. وعنها أخرج أحمد وأبوداود والنسائي وابن ماجة والطبراني والحاكم والبيهقي عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: (يس) قلب القرآن لا يقرؤها عبد يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له ما تقدم من ذنبه، فاقرؤها على موتاكم.

(يس) اختلف في معنى هذه اللفظة، واذكر ما أورده الشوكاني في فتح القدير قال: وقال سعيد بن جبير وغيره: هو اسم من أسماء محمد ﷺ دليله ﴿**إنك لمن المرسلين**﴾.

﴿**يس. والقرآن الحكيم**﴾ قسم من الله تعالى بالقرآن الحكيم. ولا يخفى ما بين المقسم به، وهو القرآن الحكيم وبين المقسم عليه، وهو رسالة الرسول محمد ﷺ من الاتصال. فالقرآن متصل برسالته ﷺ فقال تعالى: ﴿**والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم**﴾ أي الإسلام. وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم، لكفى به دليلاً شاهداً على رسالة محمد ﷺ. بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول، فأدلة القرآن كلها أدلة رسالة محمد ﷺ.

﴿**والقرآن الحكيم**﴾ وهذا قسم الله به وهو معطوف على ﴿**يس**﴾ وجواب القسم ﴿**إنك لمن المرسلين**﴾.


الصافات
(الآيات ١ - ٤)
{ والصافات صفا(١) فالزاجرات زجرا(٢)
فالتاليات ذكرا(٣) إن إلهكم لواحد(٤) }

هذه السورة تستشعر الناس أن الحياة، حياة الجاهلية التي كان العرب منغمسين فيها ويستسيغونها، وفلسفوها بجهلهم. فزعموا هناك قرابة بين (الله سبحانه) وبين الجن. وزعموا أن من الملائكة أُناثاً وأنهن بنات الله - نستغفر الله - .

لذا كان موضوع السورة في مطلعها أنه لا إله إلا هو رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق. فهذه الشمس التي تشرق وتغرب وتمدكم بأهم عناصر حياتكم. أنا ربها وخالقها وهذه السماء جعلت فيها كواكب ضياء ومن النجوم حساباً، وعلم الفلك واسع. وهي أيضاً رجوماً للشياطين.. إذن هؤلاء الجن الذين تعظموهم لا يستطيعون السمع إلى الملأ الأعلى. فهم مهزومون.

﴿**والصافات صفا**﴾ وهي الملائكة، تصف أنفسها في الصلاة وأجنحتها في الهواء. روى أبوداود والنسائي وابن ماجة حديث عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم، قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم. قال رسول الله ﷺ: يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف).

﴿**فالزاجرات زجرا**﴾ الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه إلى حيث أمر الله.

﴿**فالتاليات ذكرا**﴾ الملائكة الذين يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس.

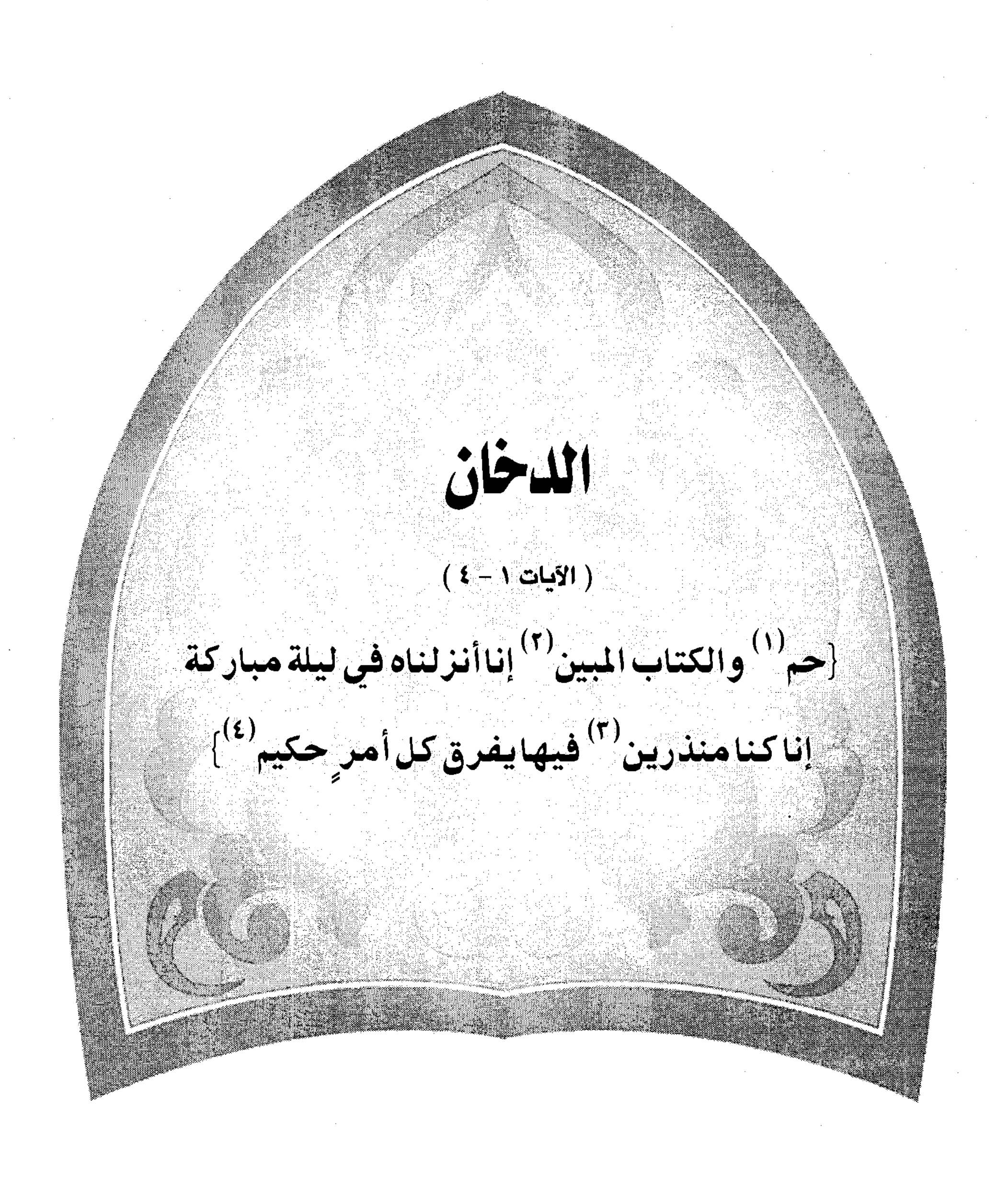
﴿**إن إلهكم لواحد**﴾ جواب القسم.. المقسم عليه: فهو إله واحد للجن والإنس وجميع المخلوقات. فهذا كان رداً على ادعاء كفار مكة أن الآلهة أكثر من واحد. وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها.

ثم قال تعالى ﴿**رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق**﴾ فهذه السماوات والأرض من صنعه وكل شيء عليها وما بينهما.. وهو رب المشارق.

قال المشارق.. ننقل قول ابن عباس رضي الله عنه كما ذكره القرطبي في تفسيره:

قال: للشمس كل يوم مشرق ومغرب، وذلك أن الله تعالى خلق للشمس ثلاثمائة وخمسة وستين كوة في مطلعها، ومثلها في مغربها على عدد أيام السنة الشمسية، تطلع في كل يوم في كوة منها. وتغيب في كوة. لا تطلع في تلك الكوة إلا في ذلك اليوم من العام المقبل. ولا تطلع إلا وهي كارهة. فتقول: رب لا تطلعني على عبادك فإني أراهم يعصونك.

قال القرطبي: فذلك قول رسول الله ﷺ، قال: (ما طلعت إلا بين قرني شيطان ولا غربت إلا بين قرني شيطان، وما غربت إلا خرّت لله ساجدة فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن السجود فتغرب بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها.



الدخان

(الآيات ١ - ٤)

{حم (١) والكتاب المبين (٢) إنا أنزلناه في ليلة مباركة
إنا كنا منذرين (٣) فيها يفرق كل أمرٍ حكيم (٤)}

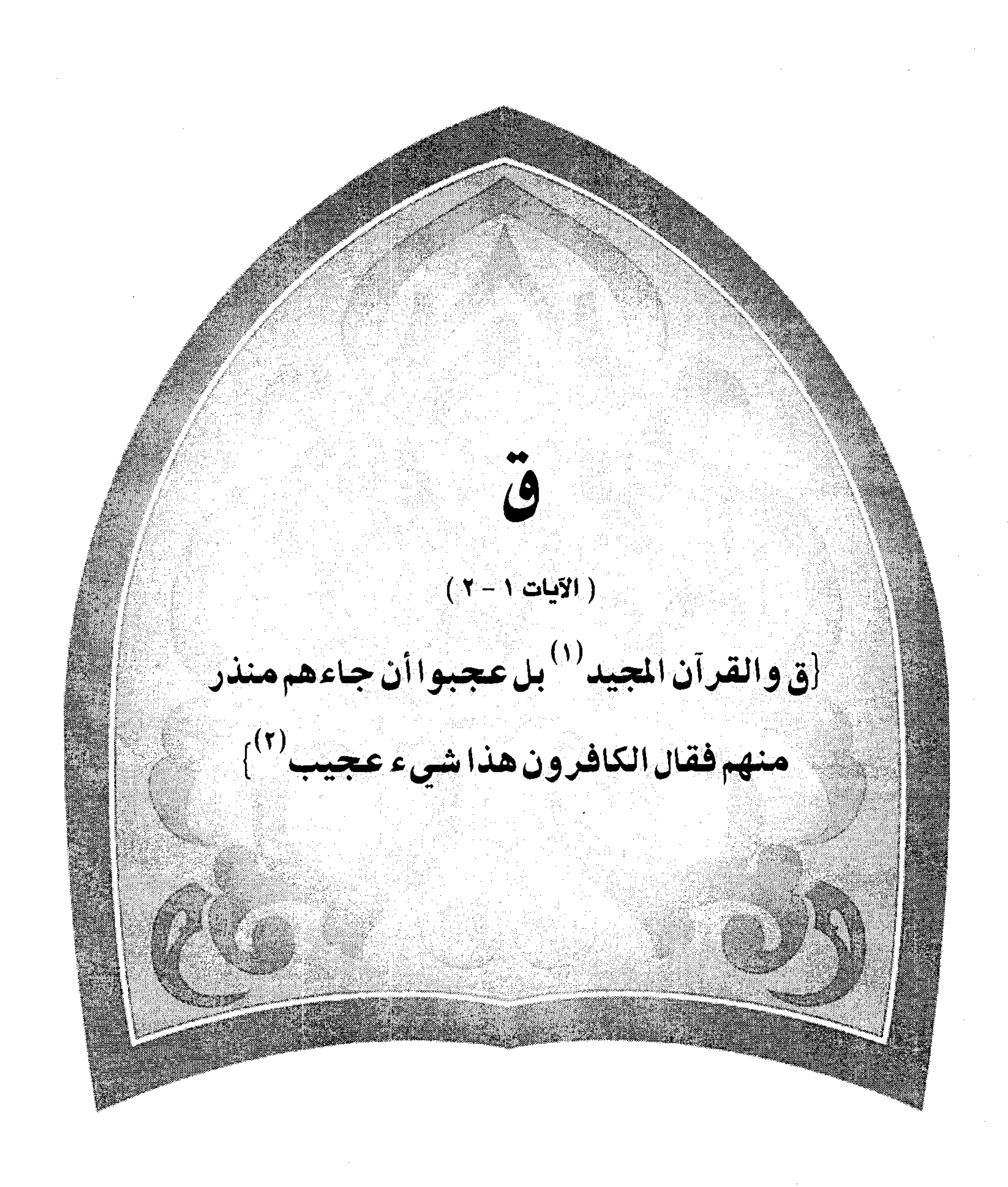
سورة الدخان سورة عظيمة وكل القرآن عظيم.. بدايتها قسم الله بالقرآن ﴿**والكتاب المبين**﴾ أي بيِّن للعباد فيه كل الأعمال الصالحة التي ترضي الله عز وجل، ويحذر فيه من ارتكاب المعاصي وما يغضبه. ولفضل وتشريف هذا الكتاب، أنزله في ليلة مباركة. ليلة خير من ألف شهر.. أنها ليلة القدر. وليلة القدر في أفضل شهر.. شهر رمضان. على أفضل وأشرف خلقه وأجود لغة. فالقرآن كتاب عظيم أُنزل في ليلة عظيمة مباركة في شهر عظيم.. أخرج الطبراني والاصبهاني عن أبي إمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ ﴿**حم الدخان**﴾ في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة.

وأخرج الدارمي عن أبي رافع، قال: من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له وزوج من الحور العين.

وقال الطبري في تفسيره عن قتادة أنه قال: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، والتوراة بست ليالٍ منه، والزبور لثنتي عشرة ليلة مضت منه، والقرآن لأربع وعشرين ليلة مضت من رمضان. انتهى.

﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين**﴾ هذا جواب القسم.. أرسلنا الرسول وأنزلنا القرآن فيه بيان كل شيء من الأعمال الصالحة التي ينجو بها العبد من العذاب.

نعود ونقول إن لسورة الدخان فضائل، فقد قال رسول الله ﷺ بسند الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ ﴿**حم الدخان**﴾ في ليلة الجمعة غفر له.



ق

(الآيات ١ - ٢)

{ق والقرآن المجيد (١) بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (٢)}

سورة حوت ذكر ابتداء الخلق، وذكر البعث والنشور والمثول أمام رب الخلق للحساب. وذكر فيها الجنة والنار ومن يدخل الجنة ومن يدخل النار كل حسب عمله وما قدمه من طاعة للنجاة.

وذكر في السورة الأمم السالفة التي أهلكها الله تعذيباً لهم في الدنيا لانصياعهم لأوامر الشيطان وعدم تصديقهم بدعوة رسل الله. وفي ذلك عبرة للمكذبين من قريش وغيرهم. وقد كان رسول الله ﷺ للتذكير والوعظ يقرؤها في المناسبات كالعيدين والجمعة.

يقول سيد قطب في ظلال القرآن: كان رسول الله ﷺ يخطب بهذه السورة في العيد والجمعة، فيجعلها هي موضوع خطبته ومادتها في الجماعات الحافلة.

وذلك كله إلى صور الحياة، وصور الموت، وصور البلى، وصور البعث، وصور الحشر، وإلى إرهاص الساعة في النفس وتوقعها في الحس. وإلى الحقائق الكونية المتجلية في السماء والأرض، وفي الماء والنبت، وفي الثمر والطلع.. ﴿ **تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ﴾ انتهى.

ورد في صحيح مسلم، عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: لقد كان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. سأل أبي واقد الليثي ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر، قال: كان يقرأ فيهما ﴿**بقاف والقرآن المجيد.. واقتربت الساعة وانشق القمر**﴾.

﴿ق﴾ قال المفسرون حسب قول الشوكاني في فتح القدير: هو اسم جبل يحيط بالدنيا من زبرجد والسماء مقببة، وهو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة.. وقيل: اسم من أسماء الله أقسم به. (انتهى).

و﴿ق﴾ حرف من حروف الكلام قصد الله عز وجل تعجيز قريش أهل الفصاحة واللغة. أما صاحب الفتوحات الإلهية قال: ﴿ق﴾ هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء، إخضرّت السماء منه، وعليه طرفا السماء، والسماء عليه مقببة وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل، رواه أبو الجوزاء عن عبدالله بن العباس رضي الله عنهما.

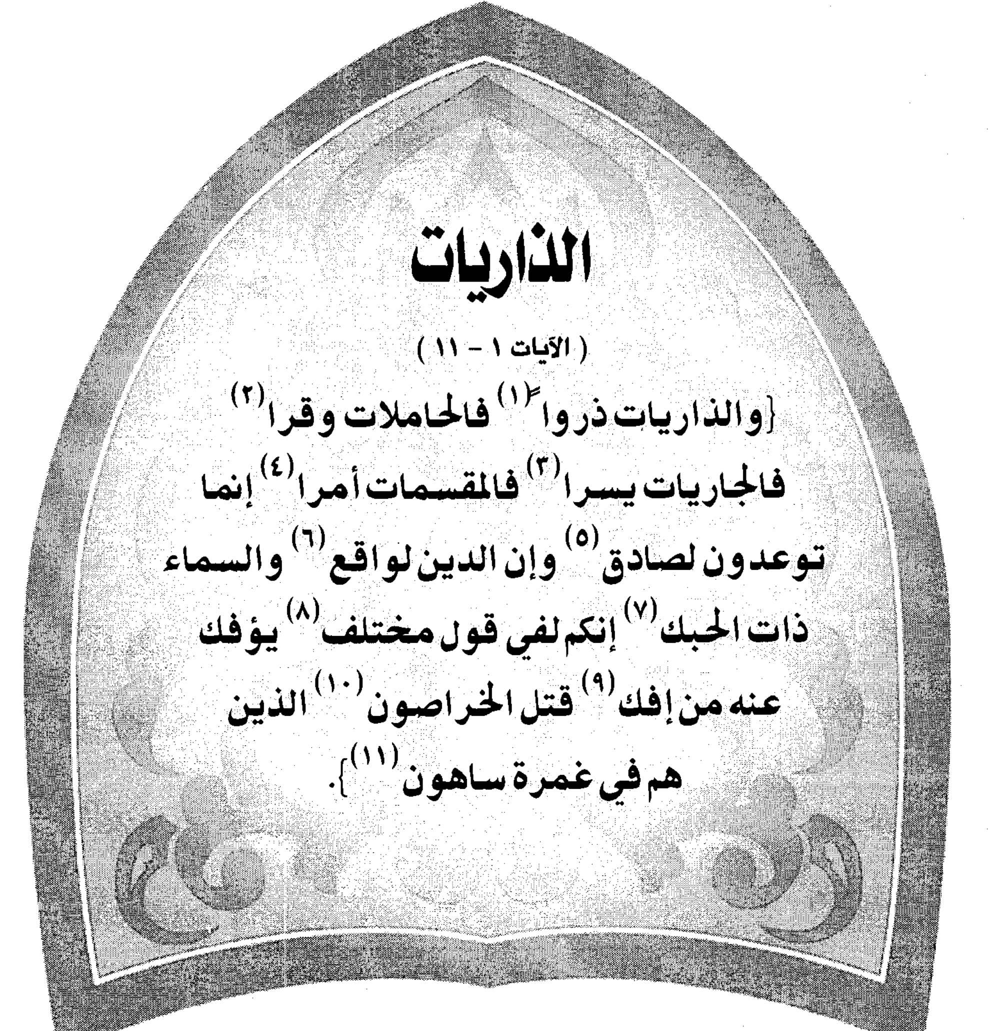
وقال وهب: أشرف ذو القرنين على جبل ﴿ق﴾ فرأى تحته جبالاً صغاراً، فقال له: ما أنت. قال: أنا ﴿ق﴾، قال: فما هذه الجبال حولك، قال: هي عروقي وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني، فحركت عرقي ذلك فتزلزل تلك الأرض، فقال له: يا ﴿ق﴾ أخبرني بشيء من عظمة الله. قال: إن شأن ربنا لعظيم وأن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج بعضها يحطم بعضاً لولا هي لاحترقت من حر جهنم، فهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض. والله أعلم بموضعها وأين هي من الأرض. ثم قال: زدني. قال: إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك، فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله منكسون رؤوسهم فإذا أذن الله لهم الكلام قالوا: لا إله إلا الله، وهو قوله تعالى.. يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا - يعني قول - لا إله إلا إلا الله - .

﴿**والقرآن المجيد**﴾ أقسم الله بالقرآن المجيد لما فيه من الخير والبركة.. إذا قُرِأَ حرف منه بعشر حسنات. وقسم الله يدل على عظم المقسم به وهو القرآن (المجيد) إنه ذو مجد وشرف.. وقال الحسن: الكريم.. وقيل: الرفيع القدر.

القسم في أول السورة مقصود للاستدال على البعث والنشور. قال تعالى: ﴿**أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد**﴾ (ق آية ١٥).

وجواب القسم اختلف فيه كما ذكر ابن كثير في تفسيره.. فقال عن ابن جرير أن جواب القسم ﴿**قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ**﴾ ولابن كثير رأي آخر، فقال: مضمون الكلام بعد القسم وهو إثبات النبوة وإثبات المعاد. قال الحق جل جلاله: ﴿**ق والقرآن المجد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب. أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد**﴾. انتهى.

﴿**بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم**﴾ وهذا وصف شنيع لحالهم.. وهو الكفر. وعجبوا أن يكون هذا المنذر، صاحب الرسالة محمد ﷺ منهم وليس ملاك. فكان رد الفعل عندهم ﴿**هذا شيء عجيب**﴾.



الذاريات

(الآيات ١ - ١١)

{والذاريات ذروا(١) فالحاملات وقرا(٢)
فالجاريات يسرا(٣) فالمقسمات أمرا(٤) إنما
توعدون لصادق(٥) وإن الدين لواقع(٦) والسماء
ذات الحبك(٧) إنكم لفي قول مختلف(٨) يؤفك
عنه من إفك(٩) قتل الخراصون(١٠) الذين
هم في غمرة ساهون(١١)}.

ورد في تفسير ابن كثير: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ولا عن سنة رسول الله ﷺ إلا إنباتكم بذلك. فقام إليه ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين، ما معنى قوله تعالى: ﴿**والذاريات ذروا**﴾ قال علي رضي الله عنه: الريح. قال: ﴿**فالحاملات وقرا**﴾ قال رضي الله عنه: السحاب. قال: ﴿**فالجاريات يسرا**﴾ قال رضي الله عنه: السفن. قال: ﴿**فالمقسمات أمرا**﴾ قال رضي الله عنه: الملائكة. (انتهى).

أقسم الله تعالى ﴿**والذاريات**﴾ الرياح فتذري التراب ﴿**فالحاملات وقرا**﴾ السحب تحمل الماء ثقيلاً - أي المطر - ﴿**فالجاريات يسرا**﴾ السفن تجري على وجه الماء بحار وأنهار بسهولة بهبوب الريح ﴿**فالمقسمات أمرا**﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد والبلاد بأمر الله عز وجل. وتأتي بأمر مختلف من الله كالجدب، والموت، والكوارث. أقسم الله بهذه الأشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته.

ذكر صاحب الفتوحات الإلهية شيخنا الشهير بالجمل.. ﴿**فالمقسمات أمرا**﴾ يعني الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا، وقيل هم أربعة:

جبريل: صاحب الوحي إلى الأنبياء الأمين عليه.

ميكائيل: صاحب الرزق والرحمة.

اسرافيل: صاحب الصور والنفخ.

عزرائيل: صاحب قبض الأرواح.

وكان جواب القسم ﴿**إنما توعدون لصادق. وإن الدين لواقع**﴾ إن يوم البعث الذي نحذركم بوقوعه لا محالة واقع وفيه ينظر في السيئات والحسنات وتجزى كل نفس بأعمالها، الخير خير والشرشر.

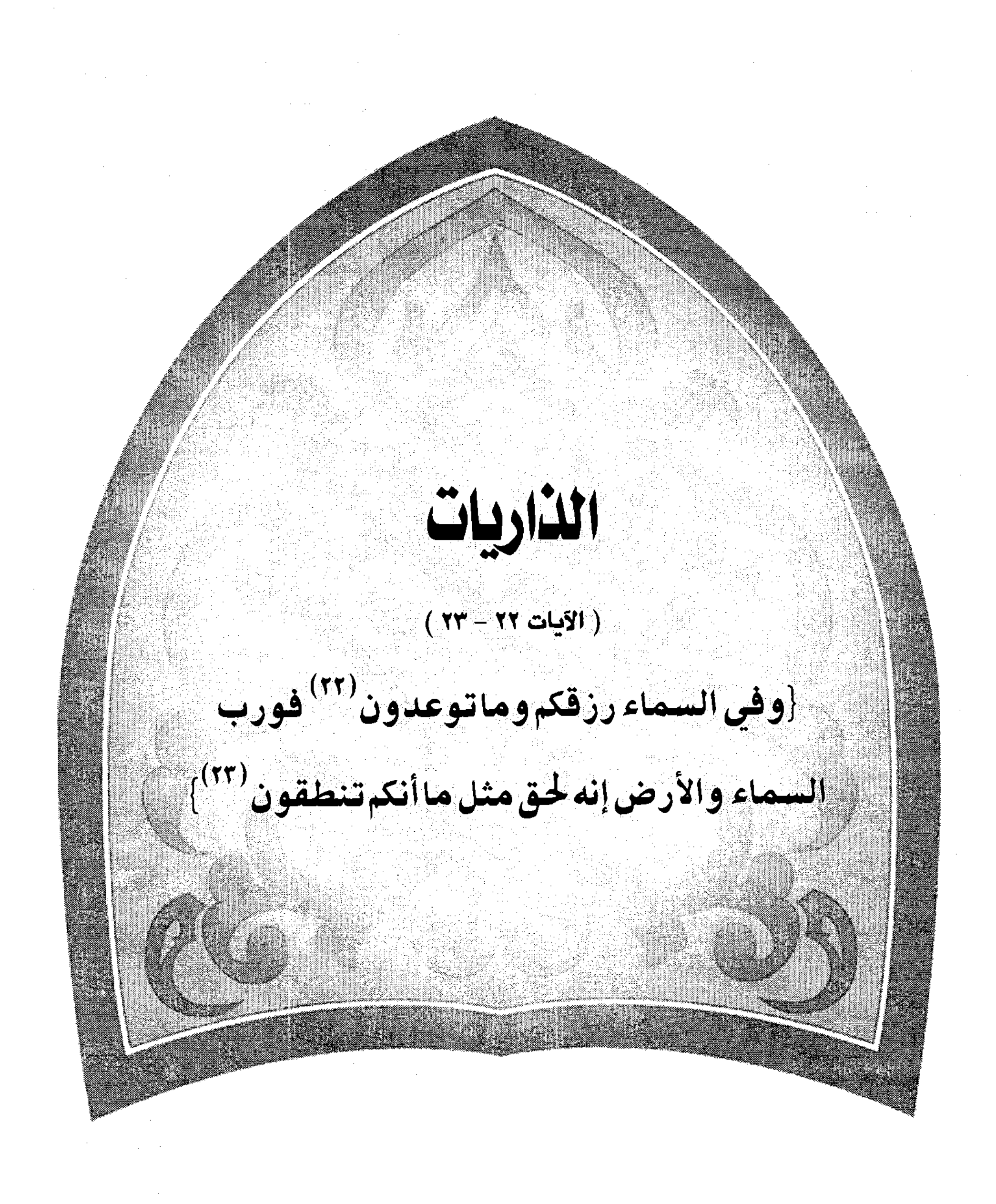
﴿**والسماء ذات الحبك**﴾ أقسم الله بالسماء التي ترونها من صنع الخالق المبدع ليس فيها أي عيب أو خلل مزدانة بالنجوم، ذات طرق كالطرق على الرمل بعد أن هبّت عليه الريح لوحة فنية كما يراها الرائي.

﴿ **إنكم لفي قولٍ مختلف**﴾ هذا جواب القسم.. فالجواب لأهل مكة لأقوالهم المتناقضة في محمد عليه الصلاة والسلام.. إذ قال بعضهم إنه مجنون. وآخرون أدعو أنه أتى بشعرٍ، والبعض يقول: ما جاء به كلام ساحر.. وتارة يقولون إن هذا قولٌ كاهن.

﴿**يؤفك عنه من افك**﴾ يضل عنه من ضل بما جاء به سيدنا محمد ﷺ أو عن الحق، وهو التوحيد والبعث. ويصرف عن القرآن وعن النبي ﷺ.

﴿**قتل الخراصون**﴾ أي لعنوا الكذابون الذين يكذبون بيوم القيامة ويستهزؤون.

بهذا القسم يخاطب الله الحس البشري بطريقة الإيحاء والتربية، كما أن ذلك الإحساس عند الإنسان فطري، ويؤكد له بالقسم ليحرك به القلب بأن يوم القيامة واقع لا محالة وفيها الحساب ويجازي المسيء بسوئه والمحسن بإحسانه.



الذاريات
(الآيات ٢٢ - ٢٣)
{وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فورب
السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣)}

قال المفسرون: على رب السماء رزقكم، فقوله تعالى ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**﴾ (هود آية ٦).

وقول سفيان الثوري: عند الله في السماء رزقها.. أي في السماء تقدير زرقكم. قال سعيد بن جبير والضحاك: الرزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلج.

﴿**وفي السماء رزقكم وما توعدون**﴾ أراد الحق عز وجل أن يدرك الإنسان أن رزقه ليس بالكد والجري في هذه الأرض. نعم، الكد والجري وسيلة، ولكن لا ينسى أن الرزق قد قدر من الله في السماء. وهذا في حكم الغيب.

﴿**وما توعدون**﴾ من الجنة والنار، أو من الثواب والعقاب، أو من الخير والشر. أما ابن سيرين قال: ما توعدون من أمر الساعة.

وما هو أعم من هذه الأقوال: فإن جزاء الأعمال مكتوب في السماء، والقضاء والقدر ينزل منها، والجنة والنار فيها وكل شيء عنده سبحانه وتعالى وبعلمه في اللوح المحفوظ.

فأقسم سبحانه بنفسه، قال ﴿**فورب السماء والأرض إنه لحق**﴾ أي ما قاله عز وجل حق، سواء الرزق، أو القضاء والقدر، أو أمر الساعة.

﴿**مثل ما أنكم تنطقون**﴾ هذا التأكيد للعقول الضالة.. يعني وما ورد في الآيات السابقة لحق كما أنك تتكلم، فهل يشك أحد في نطقه إذا نطق؟؟.



(الآيات ١ - ١١)

﴿والطور (١) وكتاب مسطور (٢) في رق منشور (٣)
والبيت المعمور (٤) والسقف المرفوع (٥) والبحر
المسجور (٦) إن عذاب ربك لواقع (٧) ماله من
دافع (٨) يوم تمور السماء مورا (٩) وتسير الجبال
سيرا (١٠) فويل يومئذٍ للمكذبين (١١)﴾.

بالنسبة لمسمى الطور ننقلها كما وردت: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام.. أو الجبل الذي أرسل منه عيسى عليه السلام. وقال مجاهد والسدي: الطور بالسريانية الجبل، والمراد به طور سيناء.. وقال مقاتل: هما طوران: يقال لأحدهما: طور سيناء، وللآخر: طور زيتا، لأنهما ينبتان التين والزيتون.. وقيل: هو جبل مدين.. وقيل: أن الطور كل جبل ينبت، وما لا ينبت فليس بطور. أقسم الله بهذا الجبل تشريفاً له وتكريماً.

سورة الطور كان الرسول ﷺ يصلي بها المغرب.. نقل سيد قطب في ظلال القرآن، قال: برواية أبو بكر أبي الدنيا: خرج عمر يعس بالمدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ: ﴿ **والطور** ﴾ حتى بلغ ﴿ **إن عذاب ربك لواقع. ما له من دافع** ﴾ قال: قَسَمٌ، ورب الكعبة حق. فنزل عن حماره، واستند إلى حائط فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه.

أقسم الله تبارك وتعالى بمقدسات في الأرض يشاهدها العبد وله د راية بها. وأقسم بمقدسات في السماء غير مكشوفة له ولا يعرف عن كنهها شيء. والقسم على أمر عظيم عليك أيها الإنسان الحذر منه ﴿ **إن عذاب ربك لواقع. ما له من دافع. يوم تمور السماء موراً. وتسير الجبال سيراً** ﴾ يحذر من عذاب الله إنه لواقع على كل مخطئ ولا وجود للوسيط ولا وجود للمانع.

أنظر أيها الإنسان في اليوم العصيب أن السماء تتقلب وتضطرب.. ذهب يومئذٍ ثباتها. وانظر بقدرة القادر تسير الجبال الراسية فليس لها استقرار. قال تعالى: ﴿ **فويل يومئذٍ للمكذبين** ﴾.

﴿**الطور**﴾ كما في القرطبي اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام. أقسم الله به تشريفاً وتكريماً وتذكيراً بما فيه من الآيات. وهو أحد جبال الجنة والمراد به طور سيناء، وقاله أيضاً السدى.. ونحن نكتفي بهذا القول.

﴿**وكتاب مسطور**﴾ ذكر صاحب الفتوحات الإلهية قال: بالنسبة للتوراة الألواح التي أُنزلت على موسى وبالنسبة للقرآن المصحف.. وقال عن القرطبي: ﴿**وكتاب مسطور**﴾ أي مكتوب يعني القرآن يقرأه الموفون من المصاحف ويقرأه الملائكة من اللوح المحفوظ كما قال الله تعالى ﴿**إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون**﴾ وقيل: سائر الكتب المنزلة على الأنبياء، وكان كل كتاب في رق ينشره أهله لقراءته.

وقال الكلبي: هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى يسمع صرير القلم (انتهى).

﴿**في رَقٍ منشور**﴾ وتُقرأ ﴿**رَقٍ**﴾ بفتح الراء وليس بالكسر. فلو قرأت بالكسر نطقت ﴿**رِقٍّ**﴾ والرق هو العبودية.. ﴿**رَقٍّ**﴾ وهو الجلد الرقيق الذي يكتب عليه. وقيل: الكتب المنزلة التي تقرأ على الناس جهاراً.

﴿**والبيت المعمور**﴾ ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة: ﴿**ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف لا يعودون إليه آخر ما عليهم**﴾ يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم.

وروى ابن كثير عن علي رضي الله عنه، سُئل: ما البيت المعمور. قال: بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً.

﴿**والسقف المرفوع**﴾ يعني: السماء.. سماها الله سقفاً لكونها كالسقف

للأرض وهي مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى. ذكر صاحب الفتوحات الإلهية عن ابن عباس قال: هو العرش وهو سقف الجنة.

﴿**والبحر المسجور**﴾ قيل كما ورد في ابن كثير: هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله فيه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها.

وقيل: أنه يوقد يوم القيامة ناراً. لقوله تعالى: ﴿**وإذا البحار سجرت**﴾.

وجاء في تفسير ابن كثير: عن أبي صالح مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل).

﴿**البحر المسجور**﴾ المملوء.. وقيل: الممتلئ بالنار.. وقيل: الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور.. قال صاحب الفتوحات الإلهية عن ابن عباس قال: إن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزاد بها في نار جهنم. ذكر السيوطي في الإكليل ﴿**البحر المسجور**﴾ الممتلئ الموار: أُسْتُدل به على أن النار في الأرض تحت البحر.. أخرج ابن حاتم من طريق سعيد بن المسيب قال: قال علي لرجل من اليهود: أين جهنم. قال: البحر. قال علي: ما أراه إلا صادقاً. وقرأ: ﴿**البحر المسجور**﴾ ﴿**وإذا البحار سجرت**﴾. (انتهى).

روى أن البحار تسجر يوم القيامة فتكون ناراً.. هكذا ورد في فتح القدير للشوكاني قال تعالى في سورة التكوير ﴿**وإذا البحار سجرت**﴾.

﴿**إن عذاب ربك لواقع**﴾ هذا جواب القسم. فإنه واقع لا محالة لمن يستحقه ﴿**ما له من دافع**﴾ وهذا كمال للقدرة الربانية لا يستطيع أحد أن يمنع ذلك.

الله جل جلاله إذا أقسم بشيء إنما يقسم به إما لكونه مظهراً من مظاهر القدرة الإلهية، كالسماء مثلاً وإما لكونه معظما، وإما لفائدته للإنسان ونفع خاص به فنرى أنه أقسم بالتين وأقسم بالزيتون.



النجم
(الآيات ١ - ٤)
{والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢)
وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤)}

﴿**والنجم إذا هوى**﴾ قال سيد قطب في ظلال القرآن: وقد رويت تفسيرات مختلفة للنجم المقصود في هذا القسم. وأقرب ما يرد على الذهن إنها إشارة إلى (الشعرى) التي كان بعضهم يعبدها. والتي ورد ذكرها في السورة فيما بعد في قوله ﴿**وإنه هو رب الشعرى**﴾ وقد كان للشعرى من اهتمام الأقدمين حظ كبير. ومما هو معروف أن قدماء المصريين كانوا يوقتون فيضان النيل بعبور الشعرى بالفلك الأعلى، ويرصدونها من أجل هذا ويرقبون حركاتها. ولها شأن في أساطير الفرس وأساطير العرب على السواء. فالأقرب أن تكون هذه الإشارة إليها (انتهى).

سورة النجم كما روى عن ابن مسعود أنه قال: هي أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة.. ذكر ذلك في الفتوحات الإلهية.

المفسرون مشايخنا كل أدلى بدلوه في شرح المقصود والدلالة من ﴿**والنجم إذا هوى**﴾ كما قال ابن كثير اختلف المفسرون في قوله تعالى ﴿**والنجم إذا هوى**﴾ قالوا: منهم الرازي قال: والفائدة في تقييد المقسم به بوقت الهوية أنه إذا كان في وسط السماء يكون بعيداً من الأرض لا يهتدي به الساري لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال، فإذا نزل عن وسط السماء تبين بنزوله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال.

قال ابن عباس ومجاهد: معنى ﴿**النجم إذا هوى**﴾ الثريا إذا سقطت مع الفجر.

قالوا: العرب تسمى الثريا نجماً.. يقال أنها سبعة أنجم ستة ظاهرة وواحدة خفية يمتحن الناس بها أبصارهم.

وفي الشفاء للقاضي عياض.. أن النبي ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجماً.

وقول: القرآن إذ أنزل منجما في عشرين سنة.

وقيل: الشعرى، لقوله تعالى ﴿**وأنه هو رب الشعرى**﴾.

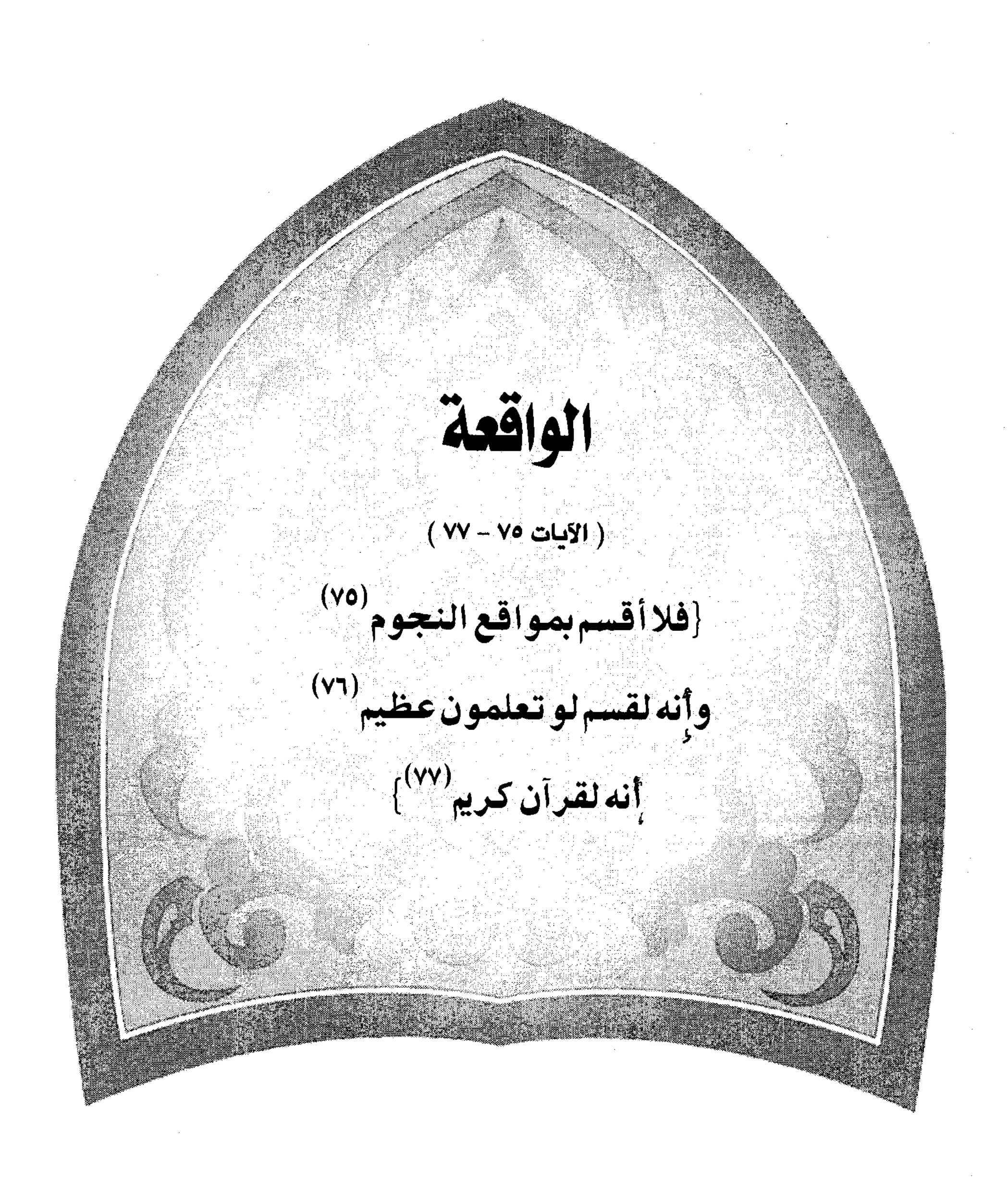
وقيل: الزهرة.. لأنها كانت تعبد.

وقال الضحاك: ﴿**والنجم إذا هوى**﴾ إذا رُمِيَ به الشياطين.

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال: أول سورة أُنزلت فيها ﴿**سجدة**﴾ سورة النجم.. فسجد رسول الله ﷺ، وسجد الناس كلهم، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً: وهو أُمية بن خلف.

وأخرج ابن مردويه ابن مسعود قال: ﴿**النجم**﴾ أول سورة استعلن بها النبي ﷺ يقرؤها.

﴿**ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾ هذا المقسم عليه وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال. فنزّه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود، وما بعثه الله من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ هذا إقرار بنبوة محمد ﷺ فهم يعرفونه، وعايشوه أربعين سنة وعلى علم بنسبه ونزاهته.



الواقعة
(الآيات ٧٥ - ٧٧)
{فلا أقسم بمواقع النجوم (٧٥)
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٦)
إنه لقرآن كريم (٧٧)}

قال مسروق من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة.

روى أن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات منه فقال: ما تشتكي. قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي. قال: رحمة ربي. قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا نأمر لك بعطائك. قال: لا حاجة لي فيه، حبسته عني في حياتي وتدفعه لي عند مماتي. قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي. إني أمرتهن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة. فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً.

﴿فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾

أقسم الله تعالى بمواقع النجوم، أي مساقطها.. وهي مغاربها ومنازلها، والمخاطبون يومذاك ليس لديهم العلم الكافي بالنجوم ومواقعها.. فالنجوم لها منازلها ومطالعها ومساقطها ومغاربها، وهذه كلها أمور عظيمة في خلقها وتسييرها في منظومات بحسابات دقيقة. فمنها ما يرى بالعين المجردة ومنها ما لا يرى. ويخفي عليهم أحجامها ومواقعها وبُعْد كل نجم عن الآخر. ونحن اليوم – عصر العلم – هل اكتشفنا هذه المواقع.. كلا ثم كلا. لم نؤت من العلم إلا قليلا.

قال الفلكيون أن المجموعة تبلغ ألف مليون نجم، وهناك بلايين النجوم في مجراة أخرى منها ترى بالمناظير المجهرية والأجهزة والكثير لا يرى. **﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾** لم يقسم الحق بالنجوم إلا لعظمة هذا الأمر.

وقيل: **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾** انكدارها وانتثارها يوم القيامة. وذهب

البعض كالسدي وغيره: بمواقع النجوم: نزول القرآن نجوماً من اللوح المحفوظ. وللتفخيم قال تبارك وتعالى: ﴿**وإنه لقسم لو تعلمون عظيم**﴾ أي هذا القسم الذي أقسمت به لقسمٌ عظيم. لو تعلمون عظمته لعظمه.

المقسم به ﴿**إنه لقرآن كريم**﴾ ليس الأمر كما زعمتم في القرآن إنه سحراً وكهانة بل هو قرآن كريم.

وقد ورد في معانٍ كثيرة منها: نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقاً في السنين بعد ذلك.. وقول: نزل القرآن جملةً من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة.

﴿**إنه لقرآن كريم**﴾ أي كرمه الله وأعزه وعظمه عن سائر الكتب المنزلة. ونزهه عن السحر والكذب والكهانة.

وقيل كريم: لما فيه من كرم الأخلاق ومعالي الأمور.. وقيل: لأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه.

والقرآن الكريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة.



القلم

(الآيات ١ - ٤)

{ن والقلم وما يسطرون (١)

ما أنت بنعمة ربك بمجنون (٢)

وإن لك لأجراً غير ممنون (٣)

وإنك لعلى خلقٍ عظيم (٤)}

﴿ن﴾ قال كثير من العلماء منهم مجاهد ومقاتل والسدي وغيرهم هو الحوت الذي يحمل الأرض. وقال غيرهم: آخر حرف من اسمه تعالى ﴿ **الرحمن** ﴾ هو قسم أقسم الله به.

﴿ن﴾ ذكر ابن كثير في تفسيره، قال: قيل المراد بقوله ﴿ن﴾ حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع هذا عن قول جابر.. وقال عن ابن عباس: أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب. قال: وماذا أكتب. قال: أكتب القدر، فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم خلق ﴿ **النون** ﴾ ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الأرض على ظهر ﴿ **النون** ﴾، فاضطرب ﴿ **النون** ﴾ فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإنها لتفخر على الأرض.

جاء في الخبر عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله تعالى القلم. ثم قال له: أكتب. قال: ما أكتب. قال: أكتب ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: ثم ختم فم القلم فلم ينطق، ولا ينطق إلى يوم القيامة. وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض. وروى مجاهد: أول ما خلق الله تعالى القلم، قال: أكتب المقادير. فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يجري بين الناس فهو أمر قد فرغ منه.

﴿ **والقلم** ﴾ هو جنس القلم فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم.

﴿ **وما يسطرون** ﴾ يعني: الملائكة وما تكتب من أعمال العباد.. وقيل: المراد به القلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف عام.

﴿**والقلم وما يسطرون**﴾ الواو (واو) القسم. قال جماعة من المفسرين: هو القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ. وأقسم الله بع تعظيماً له. وقول آخر: أقسم الله بالقلم لما فيه من البيان والمنفعة، وهو واقع على كل قلم يكتب به.. أما قول قتادة: القلم من نعمة الله على عباده.

﴿**وما يسطرون**﴾ وهم الملائكة الذين يكتبون ما قد قدره الله للعالم ينتسخون ذلك من اللوح المحفوظ.. أو هم الملائكة الحفظة الكاتبون على بني آدم.

والقسم كان بالقلم ثم بالملائكة الكتبة.. إذن كان القسم به شيئان على ثلاثة أشياء المقسم به:

نفي الجنون عن سيدنا محمد ﷺ.

ثبوت الأجر.

كونه على دين الإسلام.

﴿**ما أنت بنعمة ربك بمجنون. وإن لك لأجراً غير ممنون. وإنك لعلى خلقٍ عظيم**﴾.

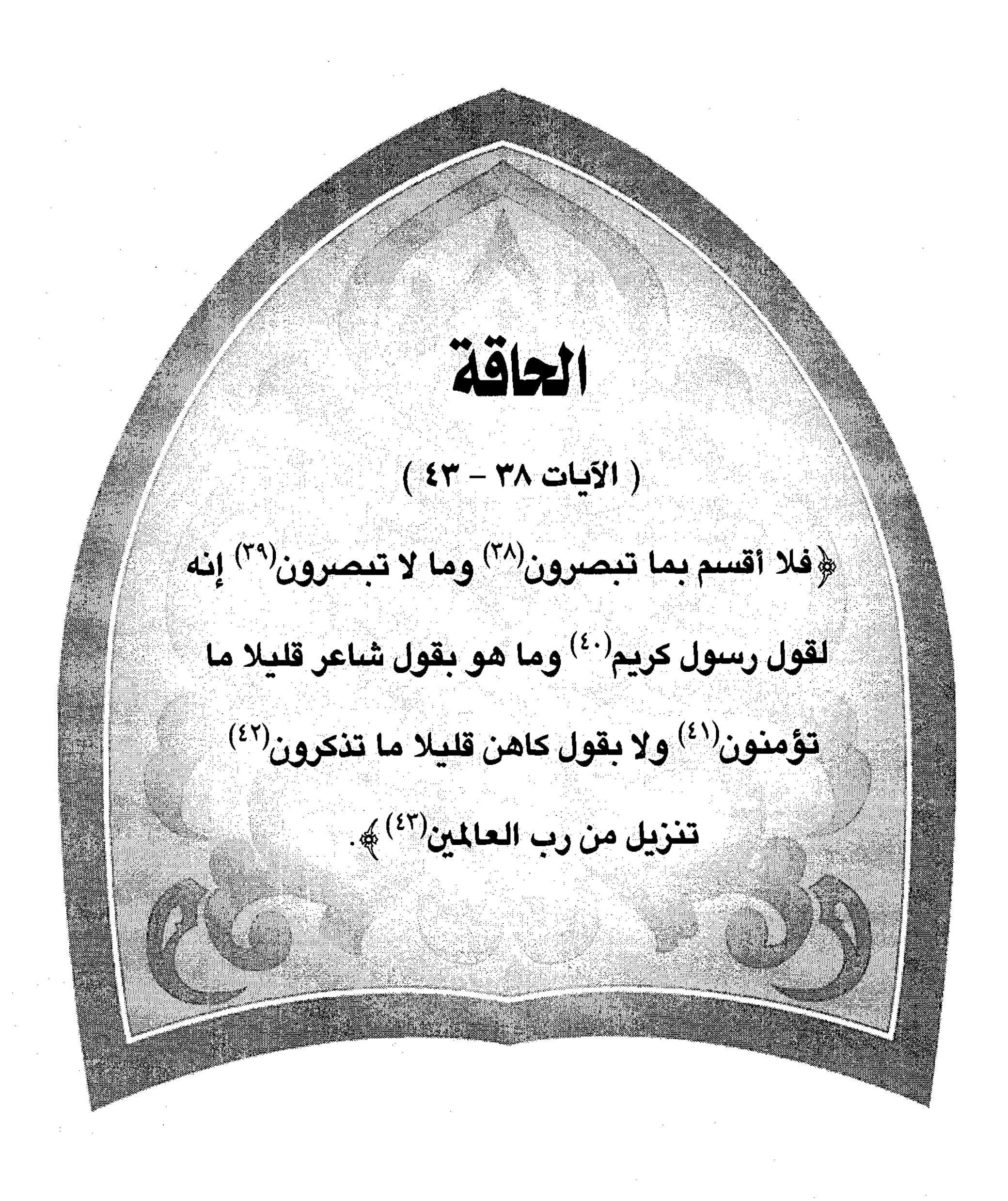
وهذا جواب القسم.

﴿**وما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾ نفي قاطع عن الجنون، وهذا رد على الكفار حيث قالوا: ﴿**يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون**﴾ الحجر آية (٦) أي لست ولله الحمد بمجنون كما يقول الجهلة والسفهاء من قومك فقد جئت بالهدى والحق المبين.

﴿**وإن لك لأجراً غير ممنون**﴾ فثوابك على تحملك مشاق النبوة وأذى قومك، متواصل غير منقطع. أخذ القرآن ينفي هذه القولة الفاجرة ويردها فوصفه:

﴿**وإنك لعلى خلقٍ عظيم**﴾ كما ثبت في الصحيح عن عائشة أنها سُئلت عن

خلق النبي ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن.. وهذه الجملة معطوفة على جواب القسم ﴿**وما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾ حيث أدبه ربه فكان أكمل الناس خلقاً وأدباً وسيرة. وهذا أدبه في القرآن بما خاطبه الحق جل وعلا، مثل: خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين.. وأيضاً مثل: وشاورهم في الأمر.. ومثل: ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك.. إلى غير ذلك من الآداب الرفيعة التي أدب بها الله رسوله محمد ﷺ. وقد اصطفاه فجعله أكمل الناس أدباً وخلقاً. وقال: إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق.


الحاقة
(الآيات ٣٨ - ٤٣)
﴿فلا أقسم بما تبصرون(٣٨) وما لا تبصرون(٣٩) إنه
لقول رسول كريم(٤٠) وما هو بقول شاعر قليلا ما
تؤمنون(٤١) ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون(٤٢)
تنزيل من رب العالمين(٤٣)﴾.

الحاقة: التي تحق فيها الأمور. وسميت القيامة بها لأن الأمور كلها تعرف فيها على حقيقتها. فالإنسان يصير فيها حقيقاً بجزاء عمله. يقال حاققته فحققته أي غالبيته فغلبته. فالقيامة: حاقة لأنها تحق كل محاق في دين الله بالباطل - أي كل مخاصم - وهذا تعظيم لشأنها.

السورة كانت بدايتها وعظ بتذكير الكفار بما حصل للأمم السابقة والتي هي أقوى منهم.. ما هي نهايتهم؟؟.. كيف تم هلاكهم. أراد الله هنا أيضاً أن يعلن للعموم بأن قوته لا يقف شيء أمامها فأشار بهلاك قوم عاد وثمود وفرعون والمؤتفكات أشار إلى قوم لوط.

ثم انتقل السرد القرآني إلى يوم القيامة ﴿**فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة**﴾ وكان التصوير الإلهي في الآيات مفزع ورهيب.

وجاء الحساب.. أناس كتابهم بيمينهم ﴿**فهو في عيشة راضية. في جنة عالية**﴾ وآخرون كتابهم بشمالهم ﴿**خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلوه**﴾.

بعد كل هذه البراهين أقسم الله تعالى:

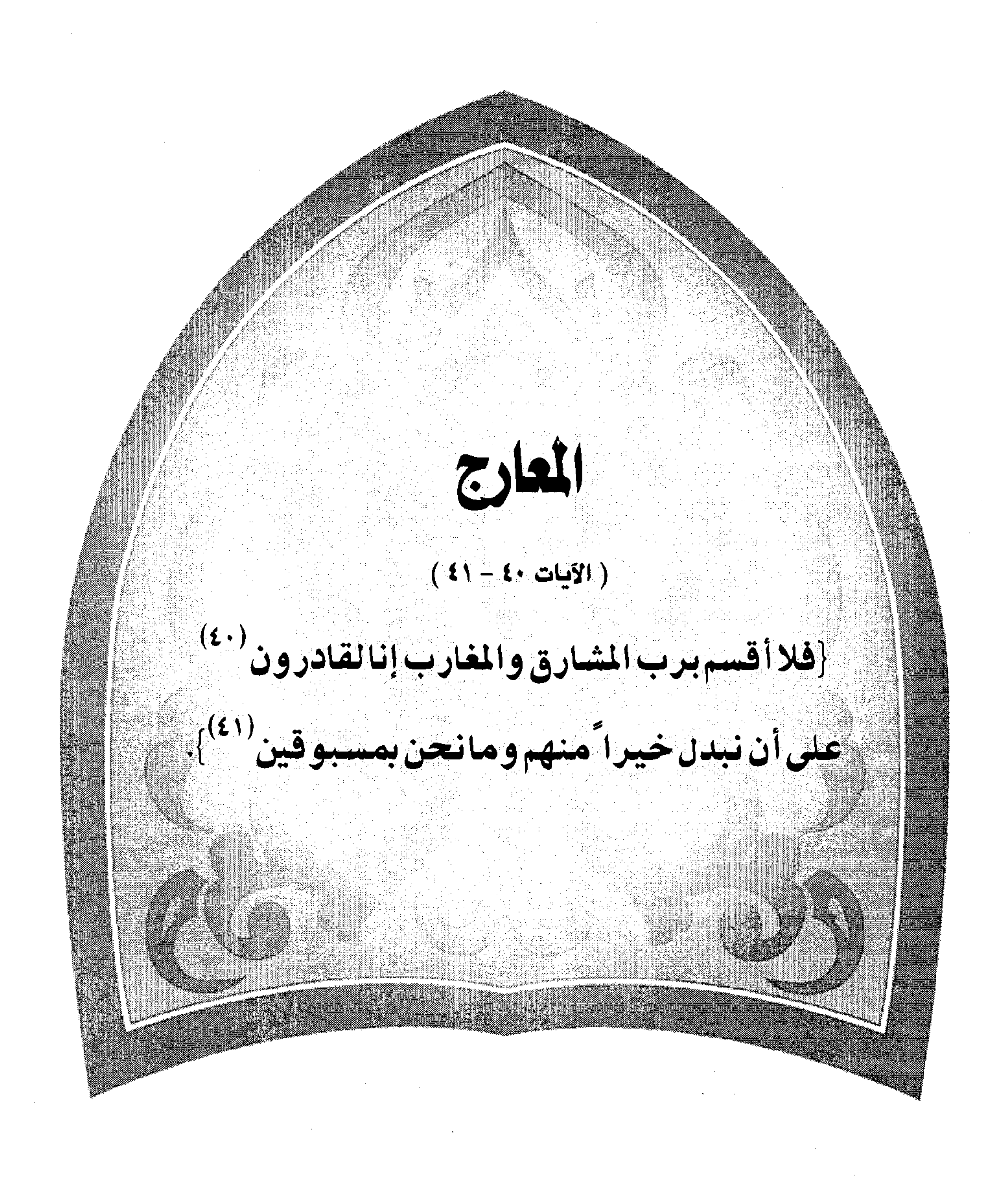
﴿**فلا أقسم بما تبصرون. وما لا تبصرون. إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين**﴾.

أقسم الله بأمر عظيم.. فقسمه هنا بمخلوقاته في الأرض وفي السماوات وهذه المخلوقات شيء ترى منه ونتعايش معه، وشيء لا نراه من مخلوقات أخرى في كواكب وعوالم لا يراها إلا الله خالقها.. بمعنى أن القسم بجميع المخلوقات المرئي منها وغير المرئي. فهي دالة على كماله في أسمائه وصفاته. إذن فليس في حاجة للقسم وأنتم

تشاهدون قدرته وعظمته في هذه المخلوقات التي ترونها والمخلوقات التي لا ترونها.

أقسم الله أن القرآن قول رسولٍ كريم مبلغ عن الله عز وجل كلف بتبليغه رسوله الكريم محمد ﷺ. أنكم تكذبون به.. فأنتم تقولون الشعر وتعرفون قواعده وقوافيه، والقرآن لا يخضع لقواعد الشعر، ولكن إيمانكم ضيقاً ولا يتسع للإيمان بالقرآن.

وقالوا أيضاً أن هذا قول كاهن، وقد كان في زمنهم يلجأون للكهنة. وهذا كذب وافتراء على كلام الله وكذب على محمد ﷺ فليس هو بكاهن، فكتاب الله جاء بلغة تفوق لغة قريش. وكانوا أفصح العرب وأشعرهم. فكانت نظرتهم وتوقعاتهم ساذجة مقرونة بالشرك والكفر.


المعارج
(الآيات ٤٠ - ٤١)
{فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون (٤٠)
على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين (٤١)}.

نأخذ أولها ﴿**سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع**﴾.

قال صاحب الفتوحات الإلهية المشهور (بالجمل): قال ابن عباس: هو النضر بن الحرث، قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ﴿**سأل سائل بعذاب واقع**﴾ فنزل مسئوله وقتل يوم بدر صبرا، هو وعقبة بن أبي معيط، ولم يقتل صبرا غيرهما. وقيل: هو الحرث بن النعمان وذلك أنه لما بلغه قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: من كنت مولاه فعلي مولاه. ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ثم قال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأن نحج فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان كل عام فقبلناه منك، ثم لن ترض حتى فضلت ابن عمك علينا، أفهذا شيء منك أم من الله تعالى. فقال النبي ﷺ: والذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله.. فولى الحرث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء. فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله. فنزلت ﴿**سأل سائل**﴾.

هذه السورة أيضاً نذير للعباد من هول ما سيقع يوم البعث الذي ينكرونه. والله يحذر الكفار وأيضاً العصاة من ويل العذاب، وهو رحيم بهم لا شك. لذا أرسل لهم رسله ومعهم البينات بيوم الحساب وصور لهم القيامة ليتعظوا ويخافوا ذلك اليوم فيسلكوا الجادة. وبعد سرد للبعث... فالناس فئتين:

فوج في النار وفوج في الجنة... فقال الله تبارك وتعالى: ﴿**أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم**﴾ قال: (كلا) ردع لهم عن هذا الطمع.. قال تعالى: ﴿**إنا خلقناهم مما يعلمون**﴾ أنكم مخلوقون من نطفة قذرة وبدون الإيمان والطاعة لله عز وجل لا تتهيؤون لدخول جنة النعيم.

وهذا التذكير من الله عز وجل بخلقهم، فهم يعلمون مما خلقوا ﴿**إنا خلقنا هم مما يعلمون**﴾ خلقناهم من ماء مهين (النطفة)، فأقسم الله تعالى:

﴿**فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون. على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين**﴾.

وهذا القسم يدل على عظمة قدرة الخالق لهذا الكون بما فيه ولن يعجزه أن يخلق غيرهم يعبدونه ويطيعوه. أقسم بمشارق الأرض ومغاربها - أي السماوات والأرض - الذي جعل فيها مشرقاً ومغرباً، حيث تطلع كل في مطلع وتغرب في آخر ولا تأتيه إلا بعد مضي سنة، أقسم الله ﴿**إنا لقادرون**﴾ كما خلقهم قادر على هلاكهم ويبدل بهم أُناس خير منهم ﴿**وما نحن بمسبوقين**﴾ أي بعاجزين.. وهذا جواب القسم.


المدثر
(الآيات ٣٢ - ٣٧)
{كلا والقمر (٣٢) والليل إذ أدبر (٣٣) والصبح إذا
أسفر (٣٤) إنها لإحدى الكبر (٣٥) نذيراً للبشر (٣٦)
لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر (٣٧)}.

رجح المفسرون وأهل العلم أن هذه السورة بعد سورة العلق ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾. وسياقها تهذيب النفوس الضالة الجاهلة وتحريض لقبول الدعوة.

كما أنه إعلان بأن محمد ﷺ نبي ورسول، فقال له الحق عز وجل ﴿ **يا أيها المدثر. قم فأنذر** ﴾.

وقد استهزأ مشركوا قريش بكلام الله وقالوا عنه ﴿ **فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر. إن هذا إلا قول البشر** ﴾ والمقصود من هذا الوليد بن المغيرة المخزومي عندما قال: والله إن القول الذي يقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ماتحته، وإنه ليعلو وما يعلى.. وتحت ضغوط أبو جهل قال: إن هذا إلا سحرٌ يؤثر عن غيره. فنزلت: ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً. وجعلت له مالاً ممدوداً. وبنين شهوداً. ومهّدت له تمهيداً. ثم يطمع أن أزيدَ. كلا إنهُ كان لآياتنا عنيداً. سارهقه صعوداً. إنه فكّر وقدّر. فقتل كيف قدّر. ثم قتل كيف قدّر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر، فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر. إن هذا إلا قول البشر. سأصليه سقر. وما أدراك ما سقر. لا تبقي ولا تذر. لواحة للبشر. عليها تسعة عشر** ﴾.

واستنكروا أن يكون على سقر تسعة عشر.. وسخروا من هذا القول.. منهم من قال إن أعوان محمد تسعة عشر، قول فيه سخرية وتعال. فأقسم الله عز وجل ﴿ **كلا والقمر. والليل إذ أدبر. والصبح إذا أسفر. إنها لإحدى الكبر. نذيراً للبشر** ﴾.

القسم بهذه المظاهر الكونية العظيمة التي لا يأتي بها إلا الله. وهو المسير لها بنظام دقيق. فالتسعة عشر الذين على سقر دليل على عظمة الله. فسقر ﴿ **لا تبقي ولا تذر. لواحة للبشر** ﴾. وقد قال تعالى: ﴿ **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا** ﴾.

وهذه السورة أول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿**يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فأهجر**﴾.

روى عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً. فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض - يعني الملك الذي ناداه - فرعبت ورجعت إلى خديجة، فقلت: دثروني. فنزل جبريل، وقال: يا أيها المدثر...

ذكر صاحب الفتوحات الإلهية، قال: وعن الزهري: أن أولَ ما نزل سورة ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ ثم انقطع الوحي فحزن رسول الله ﷺ وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل عليه السلام، وقال: إنك نبي الله.. فرجع إلى خديجة فقال: دثروني. وصبوا عليّ ماء بارداً.

فنزل ﴿ **يا أيها المدثر**﴾.. وقيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكراً.. كما يفعل المغموم. فأُمِر أن يدع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوهُ.

﴿**قم فأنذر**﴾ أي قم وأترك مضجعك وأترك التدثر بالثياب وبلغ الرسالة. فقد نصبك الله المنصب.. وهو الإنذار.

﴿**كلا والقمر. والليل إذ أدبر. والصبح إذا أسفر. إنها لإحدى الكبر. نذيراً للبشر. لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**﴾.

﴿**كلا**﴾ هي كلمة نفي مع تأكيد وزجر للمشركين.. أي حقاً: مخاطباً الذين كذبوا بجهنم وكذبوا بخزنة سقر واستهزؤا بعددهم.. وهم، قال تعالى ﴿**عليها تسعة عشر**﴾. فأقسم الله تعالى بالقمر والليل إذ أدبر، ذهب وأعقبه الصبح إذا أسفر أضاء وظهر نوره، على أن جهنم لإحد الكبر أي البلايا العظام. فهذا القسم يؤكد أنه

لا يمكن مقاومة خزنة جهنم كما يدعي أبو جهل، إذ قال: أما لمحمد من الأعوان إلا تسعة عشر يخوفكم محمد بتسعة عشر وأنتم الدهم، أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار؟ فقال أبو الأشد – وهو رجل من بني جمح – : يا معشر قريش إذا كان يوم القيامة، فإذا أمشى بين أيديكم، فادفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر، ونمضي وندخل الجنة.

ألا يعلم؟ فخزنة جهنم ملائكة شداد غلاظ لا يعصون ما أمر الله.. قيل: جعلهم ملائكة: لأنهم خلاف جنس المخلوقين من الجن والإنس.. وقيل: لأنهم أقوم خلق الله بحقه والغضب له، وأشدهم بأساً وأقواهم بطشاً.

﴿**إنها لإحدى الكبر**﴾ أي جهنم.. إنها لإحدى الدواهي أو البلايا الكبرى. ﴿**نذيراً للبشر**﴾ فهي جهنم، عذابها نذيراً للبشر. وقوله: ﴿**لمن شاء منكم أن يتقدم**﴾ وهذا متروك لكم إن شئتم أن تتقربوا لطاعة الله ورسوله ﴿**أو يتأخر**﴾ يتأخر فيرتكب المعاصي فينزل الدركات السفلى.



القيامة

(الآيات ١ - ٣)

{لا أقسم بيوم القيامة (١)

ولا أقسم بالنفس اللوامة (٢)

أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه (٣)}

السورة تبين قدرة القادر في خلقه وبعثه ثانية ﴿**أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه. بلى قادرين على أن نسويّ بنانه**﴾ والجاحد والمنكر لقدرة الله يقول ﴿**يسأل أيان يوم القيامة**﴾.. الإجابة: ﴿**فإذا برق البصر. وخسف القمر. وجُمع الشمس والقمر**﴾.. بهذا اليوم الرهيب أقسم الله تعالى:

﴿**لا أُقسم بيوم القيامة. ولا أُقسم بالنفس اللوامة**﴾

وذكر الله النفس اللوامة، فهي تلوم صاحبها وتحاسبه إن كان قد فرط في شيء حسن يجزى به وبقدر عمله. وتلومه على الوقوع في المعصية وبمقدوره التحري في عدم الوقوع وارتكابها.

وقد ورد عن الإمام الحسن البصري يرحمه الله قال: ليس أحد من أهل السماوات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة.

وقال الحسن أيضاً: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي.. وأردت بأكلتي.. ما أردت بحديث نفسي وإن الفاجر يمضي قُدماً ما يعاقب نفسه.

﴿**لا أُقسم بيوم القيامة**﴾ (لا) زائدة.. ويكون ﴿**أقسم**﴾ وذلك حسب كلام العرب فهي زيادة جارية. ومنهم من قال: هي للنفي.. والمعنى ليس نفي الإقسام ولكن بمعنى: ما أقسمت به فإنه حقيقة – أي القيامة –.

فقسم الله بيوم القيامة لتعظيمه وتفخيمه وذلك لهول ما فيه، وهو يوم كرب لكل مشرك وكافر وعاصي. أنه واقع وليس كما يزعم الجهلة والناكرون لبعث الأجساد. وهذا إثبات ليوم القيامة.

﴿**ولا أُقسم بالنفس اللوامة**﴾ (لا) كما تقدم معناها.. النفس اللوامة، قال جمع من المفسرين إنها نفس المؤمن الذي يلوم نفسه بفعلٍ ولِمَ لَمْ يفعل كذا، وإذا فعل حسناً قال لماذا لم أفعل أكثر.

أما مقاتل انفرد بقولٍ آخر، قال هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الآخرة على ما فرّط في جنب الله.. إجمالاً النفس اللوامة هي التي تقوم بمحاسبة الإنسان، إن أخطأ لامته وإن أصاب لامته لعدم الزيادة.

أما جواب القسم ﴿ **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه** ﴾ فذلك حسبان باطل فنحن - الله - قادرون على جمع عظامه بعد أن صارت رفاتاً.. وخص العظام لأنها قالب جسم الإنسان.

المرسلات

(الآيات ١ - ١٥)

{والمرسلات عرفا(١) فالعاصفات عصفا(٢)
والناشرات نشرا(٣) فالفارقات فرقا(٤) فالملقيات
ذكرا(٥) عذرا أو نذرا(٦) إنما توعدون لواقع(٧)
فإذا النجوم طمست(٨) وإذا السماء فرجت(٩) وإذا
الجبال نسفت(١٠) وإذا الرسل أُقتت(١١) لأي يومٍ
أُجلت(١٢) ليوم الفصل(١٣) وما أدراك ما يوم
الفصل(١٤) ويل يومئذٍ للمكذبين(١٥)}

ذكر شيخنا (الجمل) في الفتوحات الإلهية.. قال ابن مسعود: نزلت ﴿**والمرسلات عُرفاً**﴾ على النبي ﷺ ليلة الجن ونحن معه نسير حتى أوينا إلى غار منى فنزلت.. فبينما نحن نتلقاه منه، وإن فاه رطب بها، إذ وثبت حية، فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت، فقال النبي ﷺ: وقيتم شرها كما وقيت شركم.. والغار المذكور مشهور في منى، يسمى غار المرسلات.

هذه السورة فصولها عشر، نهاية كل فصل ﴿**ويل يومئذٍ للمكذبين**﴾.. الفصل الأول: فيه التصوير لمشاهد يوم القيامة.. النجوم يطمس نورها والسماء تفرج والجبال المتينة الضخمة تنسف. نهاية كل شيء.. به يتغير وجه الأرض التي عشنا عليها.

الفصل الثاني: أخبرنا بهلاك الأمم الفاجرة العاصية.

الفصل الثالث: أعلمنا الله بداية خلقنا.. خلقنا من ماء مهين (المني) وأسكنه في الرحم ورعاه الله بالحفاظ عليه وقدر له النمو حتى الولادة.

الفصل الرابع: كيف عشنا على هذه الأرض وضمتنا أحياء وأمواتاً. وجعل لنا الجبال رواسياً وأنزل لنا المطر عذباً.

الفصل الخامس: تنبيه للمكذبين وتحذير لهم من العذاب فسيواجهون جهنم، يرتفع دخانها فينقسم إلى ثلاث شعب لحجمه الكبير فليس لهم ظل أو ساتر يرد عنهم ذلك اللهب وشرار نار جهنم الذي وصف في حجم القصر، مساحة وارتفاعاً. والشرر المتطاير من النار وصف كالجمل في هيئته ولونه أصفر أسود.

الفصل السادس: ليس لهم أي عذر فيما فعلوه من معاصي.

الفصل السابع: استعراض يوم الحساب، جمع فيه الله بأمره الأولين المكذبين والمكذبين من قريش.. فهل لكم اليوم احتيال؟ أو هل تفلتوا من العقاب؟

فالقسم هنا جاء بالغيبيات التي لا يعلمها إلا الله.

﴿ **والمرسلات** ﴾ قال جمع من المفسرين: هي الرياح الطيبة المتتابعة.. وقيل: هي الملائكة.. وقول اخر: هم الأنبياء.

فكان قسم الله تعالى بعدة أشياء من مخلوقاته حتى تطمئن النفوس للخبر فيحصل التصديق. إذا أخذنا بالمعنى:

الأول: بالرياح المرسلة بما يأمرها به وحيث يوجهها.

بالمعنى الثاني: بالملائكة المرسلة بوحيه وأمره ونهيه.

أما بالمعنى الثالث: برسله المرسلة للتبليغ بشرائعه.

وقال البعض: إنها السحاب لما فيها من نعمة ونقمة.

﴿ **عرفاً** ﴾ وهو الصدق، ضد الأفكار المنكرة.

﴿ **فالعاصفات** ﴾ وهي الرياح شديدة الهبوب التي قد تقلع الأشجار وتدمر الكثير لشدة عصفها، وقد ترسل هذه العاصفة للعذاب.

﴿ **والناشرات نشراً** ﴾ (الواو) استئناف لقسم آخر.. وهي: الرياح المعتدلة التي تنشر السحاب وقد تفرقه وقد تسوقه بأمر الله إلى أرض جدب فتمطر.

﴿ **فالفارقات فرقاً** ﴾ فهي: آيات القرآن الكريم تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام.

﴿ **فالملقيات ذكراً. عذراً أو نذراً** ﴾ الملائكة تلقى بالوحي على أنبياء الله للتبليغ به، وللتذكير به وإنذاراً من عذابه.

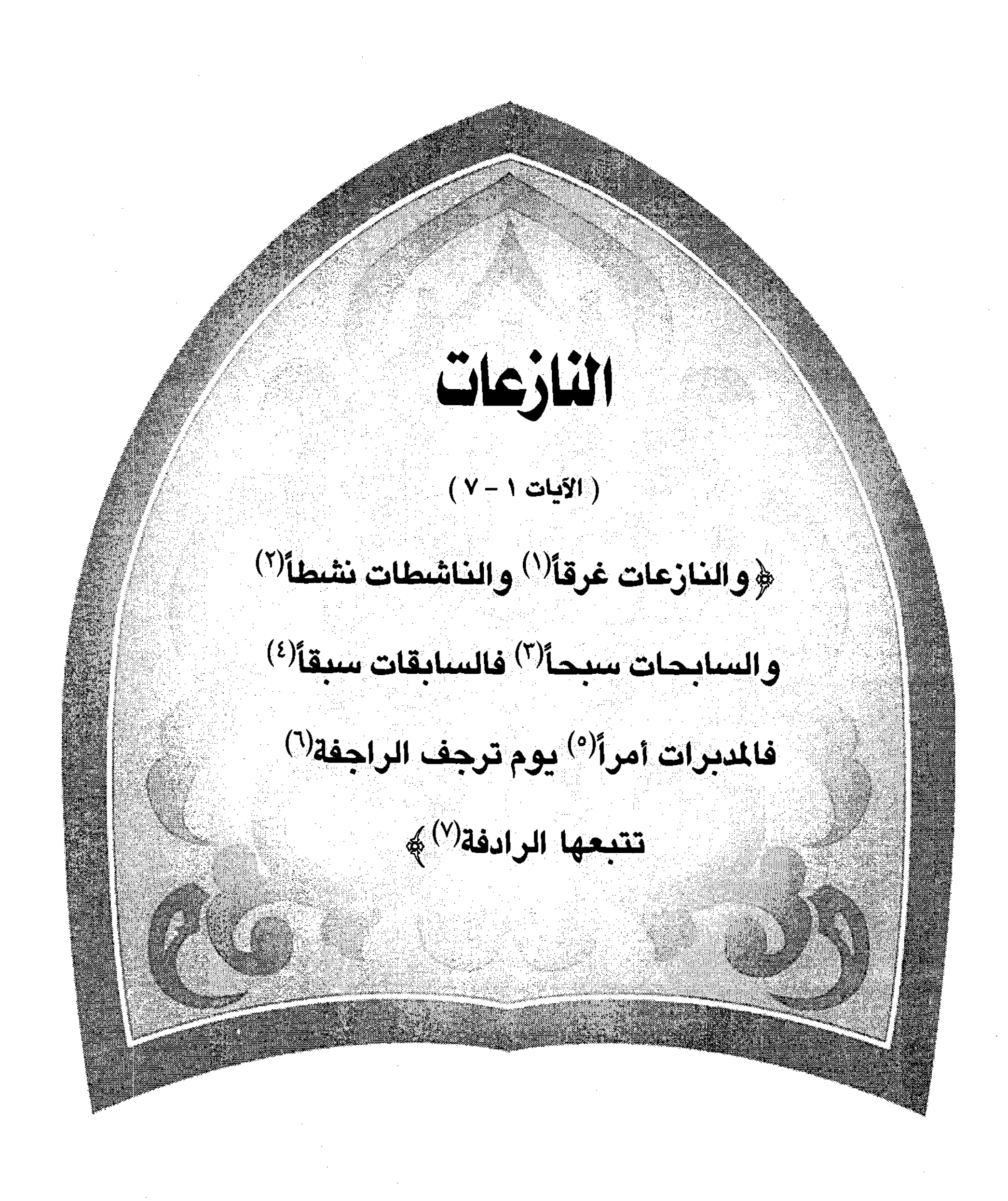
﴿ **إنما توعدون لواقع** ﴾ هذا جواب القسم.. فإن الساعة آتية لا محالة. فليس لكم مفر من البعث، يجمع فيه الأولين والآخرين على صعيد واحد.. ويأتي الحساب.

أحداث يوم القيامة:

﴿ **فإذا النجوم طُمست** ﴾ أي ذهب ضوؤها ﴿ **وإذا السماء فُرجت** ﴾ أي

فُتحت وانشقت ﴿**وإذا الجبال نُسفت**﴾ أي قُلعت وسُويت بالأرض ﴿**وإذا الرُسل أُقتت**﴾ أي رُسل الله لعباده، يجمعهم للفصل والقضاء.

﴿**لأي يوم أُجِّلت**﴾ الاستفهام هنا (لأي) تبيين الوقت الذي يجمعهم - الرسل - فيحضرون للشهادة على أممهم.. وحدد هذا اليوم بقوله ﴿**ليوم الفصل**﴾ ثم التأكيد ﴿**وما أدراك ما يوم الفصل**﴾ هذا حالهم. ذلك اليوم الرهيب العصيب ﴿**ويل يومئذٍ للمكذبين**﴾.



النازعات

(الآيات ١ - ٧)

﴿والنازعات غرقاً(١) والناشطات نشطاً(٢)

والسابحات سبحاً(٣) فالسابقات سبقاً(٤)

فالمدبرات أمراً(٥) يوم ترجف الراجفة(٦)

تتبعها الرادفة(٧)﴾

﴿**والنازعات غرقاً**﴾ قسم الله بملائكته بوظائفهم المختلفة وهو قسم عظيم بخلق عظيم، فالملائكة حين تنزع أرواح بني آدم عن أجسادهم فمنهم من تأخذ روحه بعسر وبشدة عند نزعها، وهم الكفار فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء، ومنهم من تأخذ الملائكة روحه بسهولة ويسر كأنه نشاط حله، يعني ﴿**والناشطات نشطاً**﴾ فالنزع.. للكافر. يعني: الشدة.. والنشط.. للمؤمن. يعني: الرفق.

وقيل: ﴿**والنازعات**﴾ هي أنفس الكفار.. تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار.

وقيل: ﴿**والنزعات غرقاً**﴾ الموت.. وقول: ﴿ **النازعات**﴾ نزع النفوس حين تغرق في الصدور، وهو شيء ليس باختيار الإنسان. ﴿**غرقاً**﴾ أوغل في النزع حيث ينزعها من أقاصي الأجساد.

﴿**والسابحات سبحاً**﴾ قال أكثرهم: الملائكة تسبح من السماء بأمر الله. وقيل: الملائكة تسبح في الأبدان لإخراج الروح. وقيل: أرواح المؤمنين تسبح شوقاً إلى الله.

﴿**فالسابقات سبقاً**﴾ قال جمع من العلماء: الملائكة.. وأضيف هم الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. والبعض قال: الموت. أما عطاء قال: هي الخيل في سبيل الله.

﴿**فالمدبرات أمراً**﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا بأمر الله وتدبيره. قيل: يدبر الأمر في الدنيا بأمر الله أربعة الملائكة هم: جبريل واسرافيل، وميكائيل وملك الموت عزرائيل:

فأما جبريل: فهو موكل بالرياح والجنود.

وأما ميكائيل: فهو موكل بالقطر والنبات.

وأما ملك الموت: فموكل بقبض الأرواح.

وأما اسرافيل: فهو ينزل عليهم بالأمر من الله تعالى. وليس في الملائكة أقرب منه.. بينه وبين العرش خمسمائه عام.

كان قسمه بهذه الأشياء لشرفها. وجواب القسم هنا محذوف وتقديره، لتبعثن ولتحاسبن ولتبلون بما عملتم. وقيل جواب القسم ﴿**يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة. قلوب يومئذٍ واجفة**﴾ ذلك النفختان:

النفخة الأولى كل ما على الأرض يفنى ثم تتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية فيبعث من في القبور أحياء وبين النفختين أربعين سنة كما ورد في الحديث.

والقسم جاء إعلاماً ﴿**يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة. قلوب يومئذٍ واجفة. أبصارها خاشعة**﴾.

قيل: يوم ترجف الراجفة: ترجف الأرض تتهتك فتصبح الأرض ليست الأرض التي نعرفها.. ﴿**تتبعها الرادفة**﴾ قيل: تردف الأرض وتتبعها في الانقلاب حيث تنشق وتتناثر كواكبها.

كذلك ورد في التفاسير أن الراجفة هي الصيحة الأولى. فيرجف لها الأرض والجبال وما عليها جميعاً. ويصعق لها من في السماوات ومن في الأرض إلاَّ من شاء الله. والرادفة: قيل هي النفخة الثانية، التي يصحون عليها ويحشرون كما قال تعالى في سورة الزمر آية (٦٨) ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**﴾ فعندما ترجف الأرض وتتبعها السماء وتتناثر نجومها.

﴿**قلوب يومئذٍ واجفة. أبصارها خاشعة**﴾ ذليلة صاغرة بقلوب فزعة، شديدة الاضطراب.

التكوير

(الآيات ١ - ١٤)

{إذا الشمس كورت (١) وإذا النجوم انكدرت (٢)
وإذا الجبال سُيرت (٣) وإذا العِشار عُطلت (٤) وإذا
الوحوش حُشرت (٥) وإذا البحار سُجرت (٦) وإذا
النفوس زُوجت (٧) وإذا الموءودة سُئلت (٨) بأي ذنبٍ
قُتلت (٩) وإذا الصحف نُشرت (١٠) وإذا السماء
كُشطت (١١) وإذا الجحيم سُعرت (١٢) وإذا الجنة
أُزلفت (١٣) علمت نفسٌ ما أحضرت (١٤)}

هذه الآيات في أول سورة التكوير إلى الآية (١٣) اشتملت على اثني عشر حدثاً جللاً، منها: ستة أحداث في الدنيا، وستة في الآخرة. وجواب هذا السرد من الأحداث الجسام ﴿ **علمت نفسٌ ما أحضرت** ﴾. تذكرنا بأهوال يوم القيامة.

السورة تصور لنا الإنقلاب الهائل لهذه الأرض التي نعيش عليها.. انضباط في دورانها.. شروق يعقبه غروب.. توالد جيل يأخذ مكان جيل.. كل شيء موزون لا يشط عن المعقول. هذه القيامة بأمر الله حدوثها في ساعة محددة. الشمس كورت: أي انطفأت شعلتها وبردت حرارتها الشديدة التي تبلغ (١٢٠٠٠) درجة. والنجوم المضيئة انطفأ توهجها والجبال الشامخة العظيمة سُيرت ودُكت وصارت أثر بعد عين. ﴿**وإذا العِشار عُطلت**﴾ وهي النوق الحوامل غالية القيمة عند العرب، فهي في ذلك اليوم لا قيمة لها.

﴿ **وإذا الوحوش حُشرت** ﴾ هذه تجري مذعورة لا تلتفت إلى فريسة ولا تركن إلى صخرة أو شجرة ولا تهتدي إلى أوكارها، الكل يجري الأرنب بجانب الذئب والبقر بجانب الأسد.

﴿**وإذا البحار سُجرت**﴾ أي: فاضت بالمياه وتفجرت فأحدثت الأهوال.. وقيل: التهبت.

هذا سرد وصفي ليوم القيامة. فهل تخشع القلوب وتجهز كمحطة للإيمان.

أخرج الترمذي وغيره من حديث ابن عمر، مرفوعاً (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ ﴿ **إذا الشمس كُورت** ﴾ ﴿**وإذا السماء انفطرت**﴾ ﴿**وإذا السماء انشقت**﴾ وقيل: حديث حسن.

﴿ **إذا الشمس كُورت** ﴾ عن الإمام القرطبي في التذكرة قال: قال ابن عباس رضي الله عنه: تكويرها إدخالها في العرش. وقيل: ذهاب ضوئها. (انتهى)

أي لاتها يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف فهي تكور، ثم يمحى ضوؤها ثم يرمي بها. قيل: في البحر يرسل الله عليها ريحاً دبوراً فتضربها فتصير ناراً.. والله أعلم.

﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أي: تساقطت وانتثرت.. قيل: تتناثر من أيدي الملائكة لأنهم يموتون. وفي الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدي الملائكة. وقال ابن عباس رضي الله عنه: انكدرت: تغيرت.. وأصل الانكدار: الانصباب، فتسقط في البحار فتصير معها نيراناً إذا ذهبت المياه.

﴿وإذا الجبال سُيرت﴾ أي: تحول عن منزلة الحجارة، فتكون كثيباً مهيلاً. أي: رملاً سائلاً، وتكون كالعهن، وتكون هباء منبثاً، وتكون سراباً مثل السراب الذي ليس بشيء. وقيل: أن الجبال بعد اندكاكها أنها تصير كالعهن من حر جهنم كما تصير السماء من حرها كالمهل.

﴿وإذا العِشار عُطلت﴾ أي: عطلها أهلها فلم تحلب من الشغل بأنفسهم. والعِشار: الحوامل من النوق - واحدها عشراء - وهي التي عليها في الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال اسمها ذلك حتى تضع. وإنما خص العِشار بالذكر لأنها أعز ما يكون على العرب وأنفسها. فيوم يعطل الحمل يوم القيامة. ومعناه: أنهم إذا قاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضاً ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عِشارهم التي كانت أنفس أموالهم لم يعبئوا بها ولم يهمهم أمرها. ويحتمل تعطل العِشار، أبطال الله أملاك الناس عما كان ملكهم إياها في الدنيا. وأهل العِشار يرونها فلا يجدون إليها سبيلاً.

﴿وإذا الوحوش حُشرت﴾ قول قتادة: يحشُر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا اقتص منها رُدت تراباً، فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصوته كالطاوس ونحوه.

﴿وإذا البحار سُجرت﴾ ننقل ما ذكره صاحب الفتوحات الإلهية، قال: عن أبي بن كعب: ستِ آيات من قبل يوم القيامة،، بينما الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس، وبدت النجوم فيحيروا ودهشوا، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منثوراً ففزع الإنس إلى الجن والجن إلى الإنس واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير وماج بعضُها في بعض فذلك قوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حُشرت﴾ ثم قالت الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر. فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي نار تتأجج، فبينما هم كذلك انصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتتهم.

والمعنى من ﴿سُجرت﴾ قيل: هي حُمرة مائها حتى يصير كالدم مأخوذ من القول – عين سجراء – أي: أوقدت وصارت ناراً.

﴿وإذا النفوس زُوجت﴾ أي: الأقران عامة.. ورد في التفاسير أوجه عُدة وكلها تُجمل في معنى واحد.. قيل: رُدت الأرواح إلى أجسادها. التزويج: جعل الشيء زوجاً أي يقرن به.. وقال الحسن: يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان.. وقيل: يقرن المؤمنون بالحور العين والكافرون بالشياطين. قال قتادة: يقرن كل امرئ بشيعته فاليهود تُقرن باليهود والنصارى تُقرن بالنصارى. وقال عطاء: زُوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقُرنت نفوس الكفار بالشياطين. ومثله عن ابن عباس، وزاد: وكذلك المنافقون.

وعن ابن عباس أيضاً: قرن كل شكل بشكله من أهل الجنة وأهل النار، فيضم المبالغ في الطاعة إلى مثله والمتوسط إلى مثله وأهل المعصية إلى مثلهم. فالتزويج أن يقرن الشيء بمثله.

﴿**وإذا الموؤدة سُئلت. بأي ذنبٍ قُتلت**﴾ المراد بها جنس البنت.

كان الرجل في الجاهلية إذا وُلِدَ له بنت فأراد أن يبقيها ألبسها جبة من صوف أو شعر واستخدمها ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية أي بنت ست سنين، يقول لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى إحمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء. فيذهب بها إلى البئر، فيقول لها انظر فيها. ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تسوى بالتراب.

وقال ابن عباس كما رواه صاحب الفتوحات الإلهية: كانت الحامل إذا قرُبت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت عند رأس تلك الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإذا ولدت ولداً أبقته. يبعث الله تلك البنت التي وئدت فتُسأل ﴿**بأي ذنب قُتلت**﴾ كان جوابها: أني قُتِلت بغير ذنب، فيفتضح القاتل، ويصير مبهوتاً.

قال الإمام القرطبي في التذكرة ﴿**وإذا الموؤدة سُئلت**﴾ يعني بنات الجاهلية كانوا يدفنوهن أحياء لخصلتين:

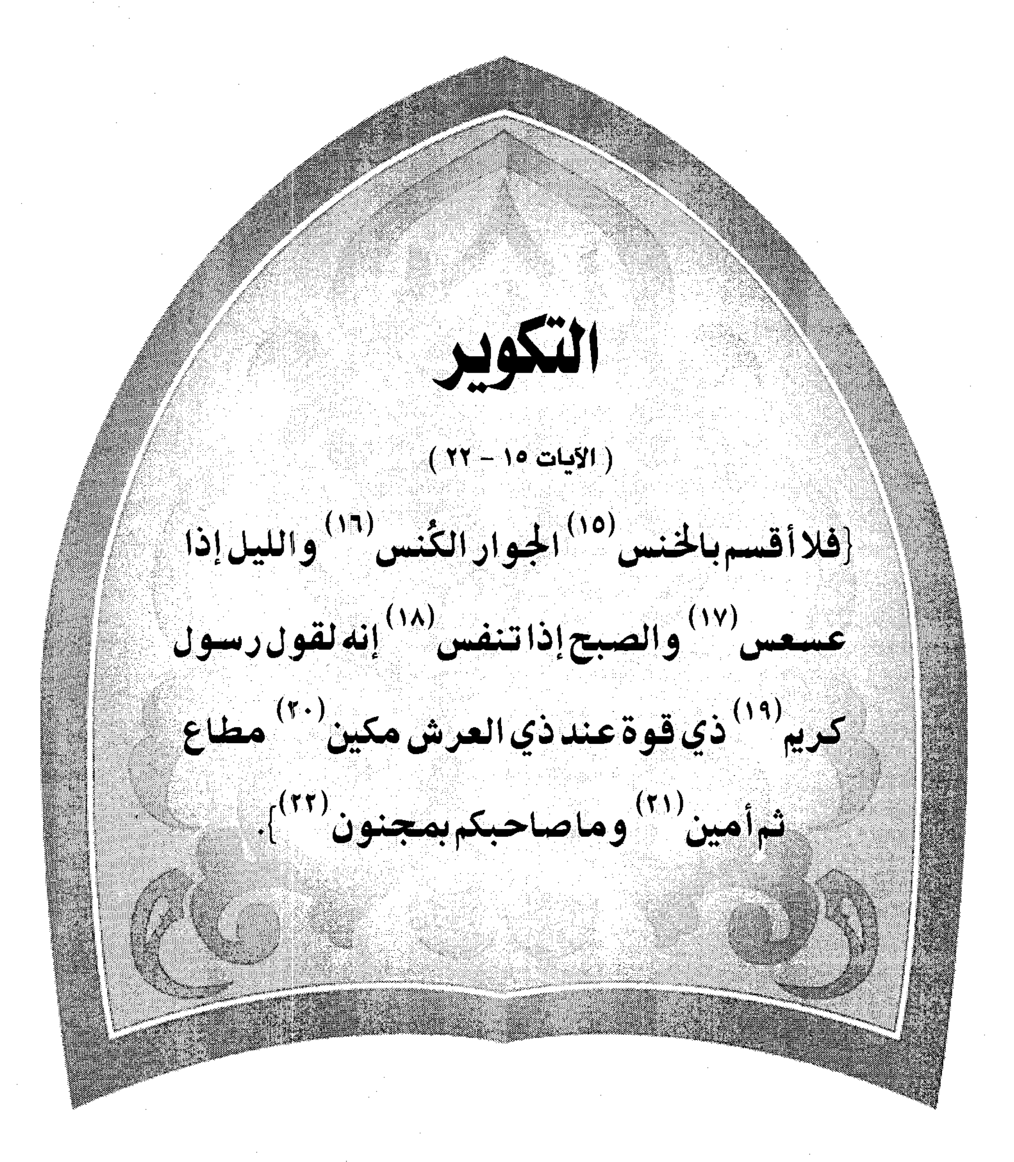
١ - كانوا يقولون: أن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به.

٢ - مخافة الحاجة والإملاق.

وقال الإمام الحسن البصري: أراد الله أن يوبخ قاتلها لأنها قُتلت بغير ذنبٍ.

وقيل: تعلق الجارية بأبيها فتقول: بأي ذنبٍ قتلتني.

﴿**وإذا الصحف نُشرت**﴾ روى عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: يؤتي بالأعمال الصالحة على صورة حسنة، وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة، فيوضع في الميزان ﴿**علمت نفسٍ ما أحضرت**﴾ تشاهد كل نفس عملها في الدنيا إن كان خيراً فصورته حسنة وإن معصية فصورته قبيحة.


التكوير
(الآيات ١٥ - ٢٢)
{فلا أقسم بالخنس (١٥) الجوار الكُنس (١٦) والليل إذا
عسعس (١٧) والصبح إذا تنفس (١٨) إنه لقول رسول
كريم (١٩) ذي قوة عند ذي العرش مكين (٢٠) مطاع
ثم أمين (٢١) وما صاحبكم بمجنون (٢٢)}.

﴿فلا أقسم بالخُنس. الجوار الكُنس﴾ هي النجوم تخنس - أي تختفي نهاراً وتكنس بالليل - تختفي.. كمن يأوى إلى كناسه. عامة المعنى: رجوعها في الليل وغيابها في النهار. قيل: أنها خمسة أنجم: زحل، وعطارد، والمشترى، والمريخ، والزهرة. والقسم يشمل كلما يجري. يختفي بالنهار ويظهر بالليل من حيوانات وغيره. وهو يعطي معنى تعاقب الليل والنهار.

﴿والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس﴾ أي: الليل إذا أقبل بظلامه والصبح إذا أقبل بشروقه.. بان وامتدّ ضوءه فصار نهاراً. وكلمة ﴿عسعس﴾ تعني أقبل وأدبر لفظ مشترك بين الإقبال والإدبار.

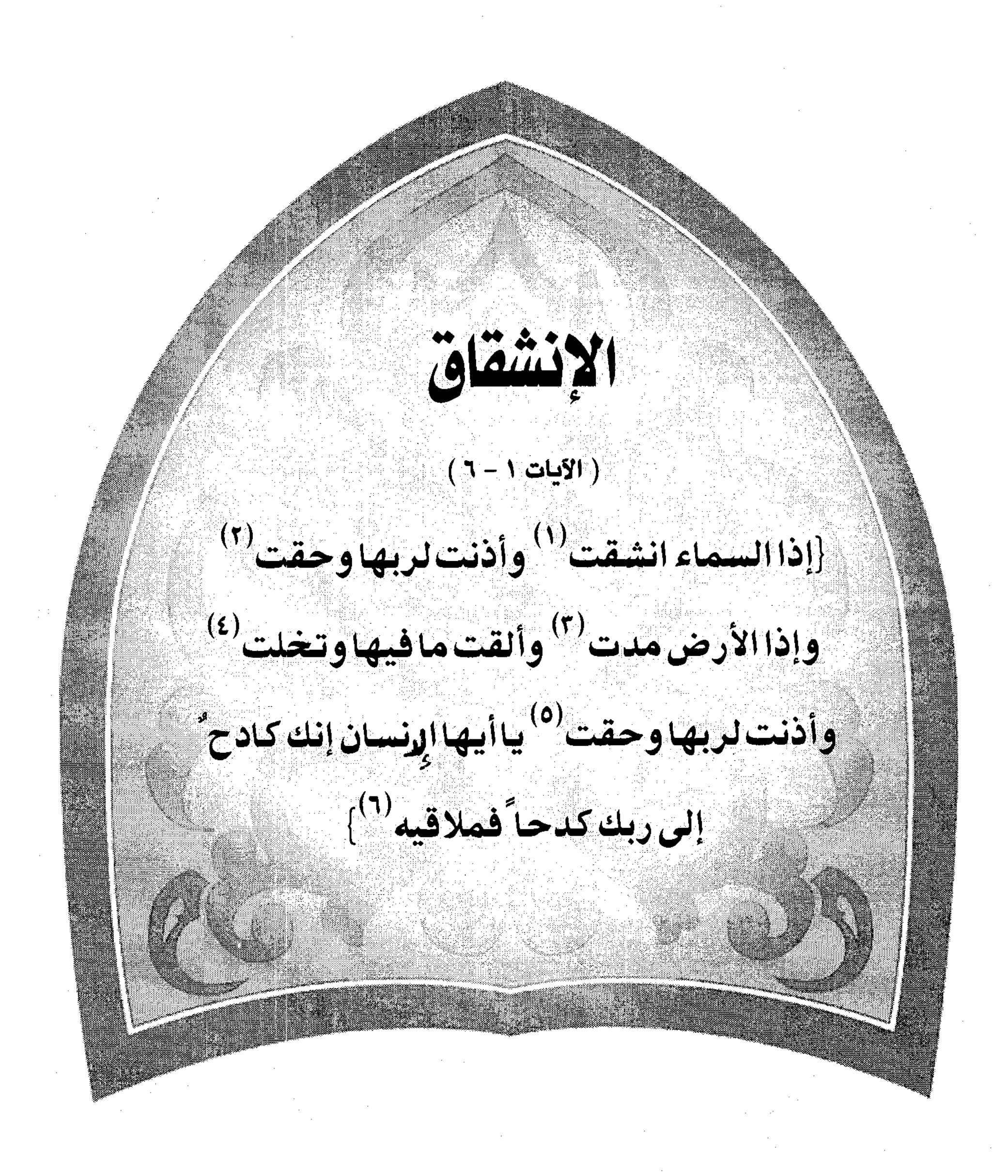
﴿إنه لقول رسول كريم﴾ (إنه) أي: القرآن.

﴿لقول رسول كريم﴾ أي: نزل به جبريل على محمد ﷺ، فيه الهدى والنور للبشرية.

قسم الله بهذه الأشياء، إن القرآن الذي كذبتم به وافتريتوا عليه إنه سحر ومرة شعر ومرة قول كاهن. إنه كلام الله، قام بتنزيله بأمر الله جبريل عليه السلام. فوصف: الملك الكريم.. ذو قوة: اقتلع بجناحه قرى لوط فرفعها إلى السماء ثم قلبها. وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين. وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف.. وله مكانة عند الله عز وجل.. مطاع: تطيعه الملائكة.. ومن طاعة الملائكة له أنهم فتحوا له أبواب السماوات ليلة المعراج، وفتح خزانة الجنة أبوابها. ثم أمين: أي أمين على الوحي.

وفسر البعض (ثم أمين) المراد من ذلك محمد ﷺ، وأنه ذو قوة على تبليغ الرسالة إلى الأمة.. مطاع: يطيعه من أطاع الله.. أمين على الوحي.

جوانب القسم ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ نفي مرض الجنون عن النبي ﷺ.. إنكم لتعلمون أنه أعقل الناس وأكملهم فهذا القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ﷺ ليس بمجنون، وأن القرآن يأتيه مُنزلاً من عند الله وليس من عند نفسه.



الإنشقاق

(الآيات ١ - ٦)

{إذا السماء انشقت (١) وأذنت لربها وحقت (٢)
وإذا الأرض مدت (٣) وألقت ما فيها وتخلت (٤)
وأذنت لربها وحقت (٥) يا أيها الإنسان إنك كادحٌ
إلى ربك كدحاً فملاقيه (٦)}

هذه السورة أيضاً تصور لنا القيامة والأهوال التي سوف تحدث عندما يأتي أمر الله كل شيء بأمره سبحانه.

السماء تنشق بأمر الله، والأرض - مدت - تغير شكلها. فاليوم كما هو ثابت بيضاوية، وغداً بأمر الله (مدت) يعني: مطت.. إذعاناً لأمر الله وقد تخلت عن كل ما حوته من مخلوقات.

وتنبيه للإنسان، ونداء (يا أيها الإنسان) ماذا بعد؟ هذه بعض مشاهد يوم القيامة.. وهكذا الانقلاب الكوني. نهاية لا تصلح للحياة. ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾.. أنت اليوم في عناء على وجه الأرض تنشد الراحة.. والراحة في اليوم الآخر، فلا تنسى إنك إلى ربك راحل فملاقيه حتماً.

والناس فئتين:

﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حساباً يسيراً. وينقلب إلى أهله مسروراً**﴾.

ننقل حديثين:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: (من نوقش الحساب عذب) قالت.. أفليس قال الله تعالى: ﴿**فسوف يحاسب حساباً يسيراً**﴾ قال: (ليس ذلك بالحساب، ولكن ذلك العرض. من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وعنها كذلك قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته (اللهم حاسبني حساباً يسيراً) فلما انصرف، قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: (أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه. من نوقش يا عائشة يومئذٍ هلك) رواه الإمام أحمد، صحيح على شرط مسلم.

فئة أخرى مسيئة ﴿**وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً. ويصلى سعيراً**﴾.

* * *

﴿**إذا السماء انشقت. وأذنت لربها وحُقت**﴾

سمعت وأطاعت لأمر ربها فانشقت: أي تصدعت وتفطرت بالغمام - السحاب الأبيض - قيل: تنزل مع الغمام ملائكة العذاب.

﴿**وإذا الأرض مُدت. وألقت ما فيها وتخلت. وأذنت لربها وحقت**﴾

ورد في القرطبي: وإذا الأرض مُدت: أي بسطت ودُكت جبالها وأكامها.. قال النبي ﷺ: تمد مد الأديم.. لأن الأديم إذا مُد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى. وقال ابن مسعود وابن عباس: ويزاد في سعتها كذا وكذا لوقوف الخلائق للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه.. يعني لكثرة الخلائق فيها.

والأرض يومئذٍ تلفظ ما بجوفها من الأموات والكنوز فهي تتخلى عن ما فوقها من البشر والحيوانات والزروع وما كان الله قد أودعه عليها أو بجوفها.. ذلك طاعةً وتنفيذاً لأمر الله ربها وخالقها.

﴿**فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق. والقمر إذا اتسق**﴾

أقسم الله بمخلوقاته هذه تشريفاً لها وتعريضاً للاعتبار بها.. فليس كما يزعمون لا بعث ولا جزاء.

﴿**فلا أُقسم بالشفق**﴾ ومعنى الشفق.. ورد في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (وقت المغرب ما لم يغب الشفق).. أي الشفق الحُمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة فإذا ذهب قيل غاب الشفق.. وقال مجاهد: هو النهار كله.

وقال الزمخشري في تعريف الشفق: الشفق الحُمرة التي تُرى في المغرب بعد سقوط الشمس، وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء.

﴿**والليل وما وسق**﴾ الله سبحانه وتعالى أقسم بالنهار مُدبراً وبالليل مُقبلاً.

وقول عكرمة: أقسم الله تعالى بالضياء والظلام. ﴿**وما وسق**﴾ ما جن وستر. نقول، أي كل شيء يهدأ بالليل فيستكين كل من على الأرض من دواب وزاحفة وإنسان إلى مأواه. والمعني: جمع من ذي روح من سابح في الماء وطائر في السماء وسارح في الغبراء.

﴿**والقمر إذا اتسق**﴾ أي اجتمع واستوى في تمامه وتم نوره وصار بدراً وذلك في الليالي البيض – أربعة عشر وخمس عشر وست عشر – .

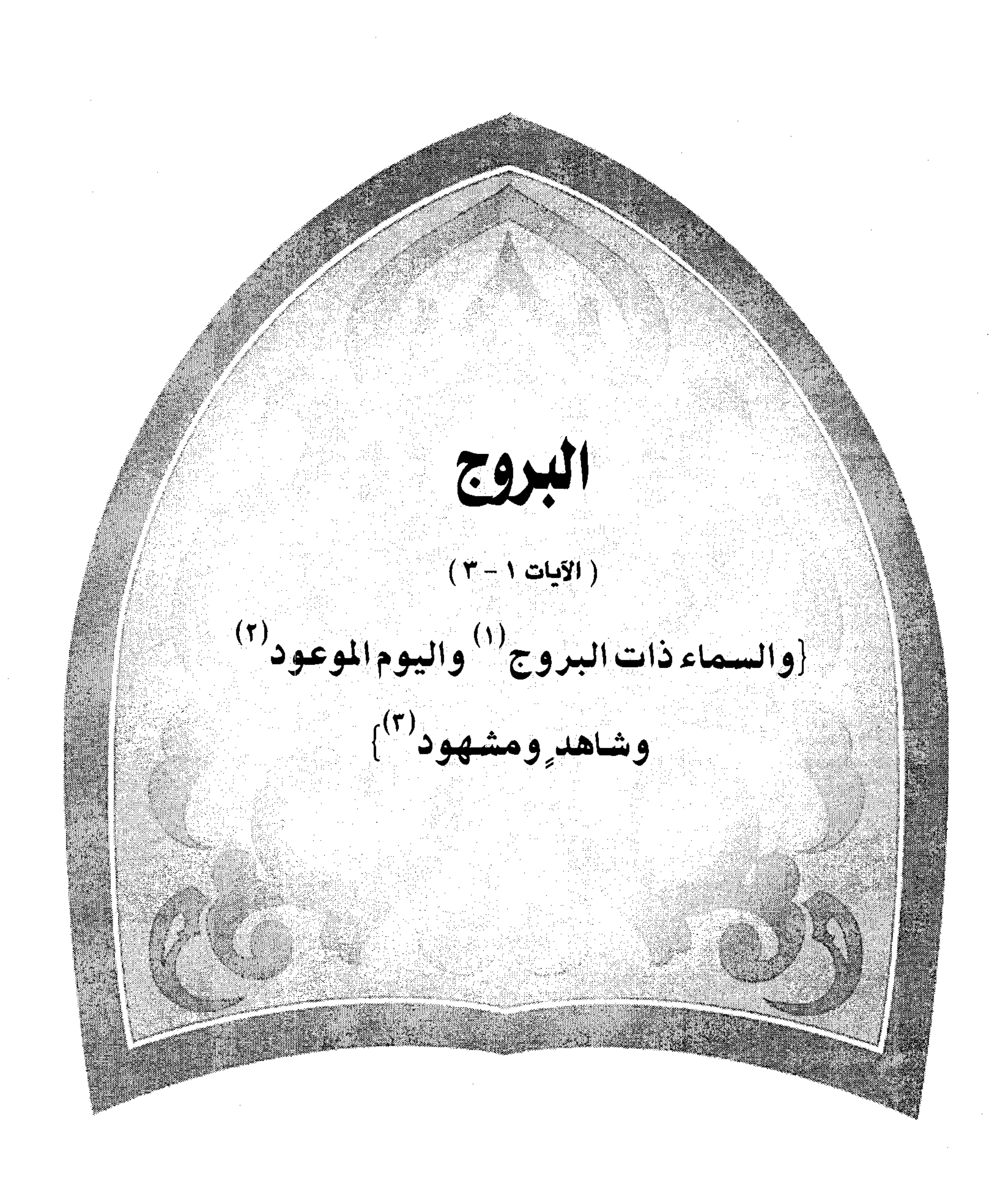
﴿**لتركبن طبقاً عن طبق**﴾ قال البعض أنه قصد بالنبي ﷺ. لتركبن يا محمد سماء بعد سماء تصعد فيها.. وقيل: درجة بعد درجة، ورتبة بعد رتبة في القرب من الله ورفعة المنزلة.

نقول: لتركبن أيها الإنسان حالاً بعد حال، من كونك نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم طفلاً فشاباً فشيخاً. ويخوض معركة الحياة فقر بعد غنى، وغنى بعد فقر، وشدة بعد رخاء، ورخاء بعد شدة، وصحة بعد سقم، وسقم بعد صحة، وهكذا تتناوب أحوال بني آدم وتتغير حتى يتوفاه الله.

وعن ابن عباس: الموت ثم البعث ثم العرض.

هذا جواب القسم قول الله تعالى ﴿**لتركبن طبقاً عن طبق**﴾ إذ أقسم الله بأحداث كونية عظيمة مخاطباً الإنسان. ستمر بأحوال متغيرة متباينة حتى الموت ثم البعث. حياة أخرى للمواجهة ثم الحساب، ثم الجزاء، فهي أحوال وأهوال فليس الأمر كما تتصورون أن الأمر موت فقط ولكن الأمَرُّ من ذلك يوم الحساب.

إنها معاناة ستمرون بها. فلماذا بعد هذه البراهين لا تؤمنون ﴿**فمالهم لا يؤمنون**﴾ تعجب ؟؟؟



البروج
(الآيات ١ - ٣)
{والسماء ذات البروج (١) واليوم الموعود (٢)
وشاهدٍ ومشهود (٣)}

هذه السورة تذكر المؤمنين السابقين الذين تعرضوا للتعذيب والهلاك على أيدي الكفرة والمشركين إبان الدعوة المحمدية بأن أُمم سبقتكم قد عُذبوا وصبروا حتى الموت، فأنتم وما يُنزل عليكم من تعذيب فأنتم مأجورون به. أيضاً أشارة السورة إلى أصحاب الأُخدود - الأُخدود الشق في الأرض - عمل لهؤلاء المسلمين شق في الأرض وقُذِفوا أحياء داخل الشق وأُضرموا فيهم النار ليتلذذوا بمنظرهم وهم يحترقون. ما هي جنحتهم؟

﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾

* * *

﴿والسماء ذات البروج﴾ البروج: هي النجوم.. أقسم الله تعالى بالسماء وهو من أعظم الأقسام.. فالسماء ذات البروج فهي منازل الشمس والقمر: وهي إثنا عشر بُرجاً لإثني عشر كوكباً، وهي: الحمل، والثور، والجوزراء، والسرطان، والأسد، والسُنبلة، الميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت.. وهي منازل الكواكب السبعة السيارة:

المريخ وله: الحمل والعقرب

الزهرة ولها: الثور والميزان

وعطارد وله: الجوزاء والسُنبلة

القمر وله: السرطان

الشمس ولها: الأسد

المشترى وله: القوس والحوت

زُحل وله: الجدي والدلو

ونورد هنا عن ابن جرير كما ذكره ابن كثير في تفسيره، قال: إنها منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر بُرجاً تسير الشمس في كل واحد منها شهراً ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثُلثاً فذلك ثمانية وعشرين منزلة ويستتر ليلتين.

﴿ **واليوم الموعود** ﴾ هو يوم القيامة. فيه يجتمع الخلائق للحساب والفصل.

﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ كان التفسير لهذا الشاهد والمشهود اختلافاً عند المفسرين.. هو إجمالاً ما يُشاهد في ذلك اليوم من العجائب.

ذهب جماعة من الصحابة والتابعين على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. فعرفة يشهد الناس فيه موسم الحج وتحضره الملائكة.. ورجح هذا القول الواحدي.

وقيل: أن الشاهد هو الله سبحانه، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير، لقوله:

﴿ **وكفى بالله شهيداً** ﴾ (الفتح ٢٨)

وقوله: ﴿ **قل أي شيء أكبر شهادة قُل الله شهيد بيني وبينكم** ﴾ (الأنعام ١٩)

وقيل: الشاهد محمد ﷺ، لقوله تعالى:

﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ (النساء ٤١)

وقوله تعالى: ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً** ﴾ (الأحزاب ٤٥).

وقوله تعالى: ﴿ **ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ (البقرة ١٤٣).

وقيل: الشاهد جميع الأنبياء، لقوله تعالى: ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد** ﴾.

وقيل: هو عيسى بن مريم عليه السلام، لقوله تعالى:

﴿**وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم**﴾ (المائدة ١١٧).

والمشهود: على هذه الأقوال الثلاثة إمامة محمد ﷺ، أو أُمم الأنبياء، أو أُمة عيسى.. وقيل الشاهد: آدم. والمشهود: ذريته. وقيل الشاهد الإنسان، لقوله تعالى ﴿**كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾ (الإسراء ١٤) وقال مقاتل: أعضاء الإنسان لقوله تعالى:

﴿**يوم تشهد ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**﴾ (النور ٢٤).

وقول آخر: الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم لقول الله تعالى:

﴿**وكذلك جعلناكم أُمة وسطاً لتكونوا شُهداء على الناس**﴾ (البقرة ١٤٣).

وقيل: الشاهد هم الخلق يشهدون لله عز وجل بالوحدانية. والمشهود له بالوحدانية: هو الله سبحانه.

والقول هو يوم الجمعة.. وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه.

ورد في الحديث عن النبي ﷺ، قال: (أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة).. وزاد عليه ابن ماجة: (وإن أحداً يصلي عليّ إلا عُرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها) قال، قلت: وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت، إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء. فنبي الله حي يرزق).

وقيل: إن (المشهود) يوم القيامة، لقوله تعالى:

﴿**ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود**﴾

أما جواب القسم: اختلف التفسير فيه.. منهم من قال ﴿**قتل أصحاب الأخدود**﴾ بمعنى لعن كفار قريش كما لعن أصحاب الأُخدود. ومنهم من ذهب إلى أن جواب القسم ﴿**إن الذين فتنوا المؤمنين**﴾ وقول: ﴿**إن بطش ربك لشديد**﴾.

الطارق

(الآيات ١ - ١٠)

{والسماء والطارق (١) وما أدراك ما الطارق (٢)
النجم الثاقب (٣) إن كل نفسٍ لما عليها حافظ (٤)
فلينظر الإنسان مم خلق (٥) خلق من ماء دافق (٦)
يخرج من بين الصلب والترائب (٧) إنه على
رجعه لقادر (٨) يوم تُبلى السرائر (٩) فما
له من قوةٍ ولا ناصر (١٠)}.

أسـبـاب النزول للإمـام النيـسـابوري ﴿ **والسـمـاء والطارق ومـا أدراك مـا الطارق النجم الثـاقب** ﴾ نزلت في أبي طالب.. وذلك أنه أتى النبي ﷺ بخبزٍ ولبنٍ، فبينما هو جالس إذ انحط نجم فامتلأ ما ثم ناراً، ففزع أبو طالب، وقال: أي شيء هذا؟ فـقـال النبي ﷺ: هذا نجم رمي به، وهو آية من آيات الله. فـعـجب أبو طالب. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

هذه السورة تخاطب الإنسان إن كان غافلاً أو ضالاً لتوقظه من غفلته وترده عن ضلاله بتوعيته، فهو متأكد أن وجوده تم بعد التقاء الذكر والأُنثى. ولكنه يجهل تركيب هذه النطفة. ومن أي جزء في الإنسان تخرج.

﴿**فلينظر الإنسان مم خُلق. خُلق من مـاء دافقٍ. يخرج من بـين الصلُب والترائب**﴾.

هذا الماء المصبوب في رحم المرأة من الرجل يحمل ملايين الحيوانات المنوية التي لا تُرى إلا بمجـهر خـاص. قيل: حسب المعلومات المختبرية - والله أعلم - خـمسـة وسبعون مليون حيوان منوي في القذفة. ويأخذ الصراع أشده والسباق بالفوز لدخول البـويضـة التي هي في انتظار الوافـد المنتظر. قيل أن هـذا الحـيوان القـوي يهزم كل الحيوانات المنافسة، وقد جرى أطول مسافة في العالم يقطعها مخلوق.. أحد عشر سنتمتر.. سبحان الله. وضع في رحم المرأة بيد القدرة وأنه عليه حافظ. يمر هذا الحيوان الدقيق الذي لا يُرى إلا بالمجهر بأطوار في رحم المرأة. ثم ينفخ فيه الروح ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾.

هذا الماء الدافق ﴿ **يخرج من بين الصلُب والترائب** ﴾.. القرآن يعلن أن مـاء الرجل يتكون في عظام الظهر الفقارية، وهو الصلُب المذكور في الآية. وماء المرأة في عظام الصدر العلوية، وهي ﴿ **الترائب** ﴾.

يقسم الله تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب المنيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿**والسماء والطارق**﴾ والطارق ما جاء ليلاً ليطرق على الباب طالباً مأوى.. وسمي النجم طارقاً لطوعه ليلاً. ﴿**وما أدراك ما الطارق**﴾ تهويل وتفخيم لشأنه بعد القسم به، فاتبعه تفسيراً لذلك.. من الطارق؟ ﴿**النجم الثاقب**﴾ أي الذي يأتي ليلاً ويختفي نهاراً. ﴿**الثاقب**﴾ المحرق للشياطين. قيل: أنه نجم في السماء السابعة، وهو زُحل لا يسكنها غيره من النجوم وإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة.. وقيل: المراد به الثريا لتعارف العرب اطلاق تعريف النجم على الثريا.

﴿**إن كل نفسٍ لما عليها حافظ**﴾ أي كل نفسٍ عليها من الله حفظة يحرسها من الآفات، ويحفظون عملها فيحصى عليها ما تكسب من خيرٍ وشرٍ. كما قال تعالى ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾ وهو جواب القسم. وجاءت الآيات بعد ذلك تفند وتذكر الإنسان كيف خُلق ومم خُلق؟ ﴿**من ماءٍ دافق**﴾ قال الله تعالى ﴿**فلينظر الإنسان**﴾ تنبيه للإنسان من أي شيء خُلق ﴿**خُلق من ماءٍ دافق**﴾ إشارة إلى مني الرجل يخرج دفقاً ومن المرأة.. بإذن الله يتولد منه الولد.

﴿**يخرج من بين الصُلب والترائب**﴾ يعني: يخرج من صُلب الرجل وترائب المرأة - أي صدرها - ماء المرأة أصفر رقيق.. فيكون الولد بإذن الله منهما.. ما الرجل وماء المرأة.

﴿**إنه على رجعه لقادر**﴾ فالله يؤكد أنه قادر على بعاثه بعد موته كما خلقه من ماءٍ دافق، من ذاك المني الضعيف.

﴿**يوم تُبلى السرائر**﴾ أي يوم القيامة ﴿**فما له من قوةٍ ولا ناصرٍ**﴾ فليس للإنسان يوم القيامة قوة ذاتية تدافع عنه ولا قوة مناصرة أخرى.


الطارق
(الآيات ١١ - ١٤)
{والسماء ذات الرجع (١١)
والأرض ذات الصدع (١٢)
إنه لقولٌ فصل (١٣)
وما هو بالهزل (١٤)}

﴿**والسماء ذات الرجع. والأرض ذات الصدع**﴾ أقسم الله تعالى بالسماء ذات السحب والغيوم والأمطار. وكلمة ﴿**الرجع**﴾ اسم من أسماء المطر. وسُمي الرجع لرجوعه أي تمطر في فترات متكرر من حين لآخر.

وقال ﴿**والأرض ذات الصدع**﴾ قسم الله تعالى بالأرض.. أي أنها ذات التشقق بالنبات والزروع المختلفة، وما ينفع الناس. والقسم جاء بأن القرآن الكريم قول حق وصدق ويحرم التكذيب به ﴿**إنه لقول فصل**﴾ وهذا جواب القسم.. فليس بالقول الهزل.. أي اللعب الباطل فهو حق كلام الله فلا باطل معه، وقوله تعالى ﴿**إنه لقولٌ فصل**﴾ فهو يفصل بين الحق والباطل. الإيمان بالله أولاً وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ والإيمان باليوم الآخر.

الفجر

(الآيات ١ - ١٤)

{والفجر (١) وليالٍ عشر (٢) والشفع والوتر (٣)
والليل إذا يسر (٤) هل في ذلك قسم لذى حجر (٥)
ألم تر كيف فعل ربك بعاد (٦) ارم ذات العماد (٧)
التي لم يخلق مثلها في البلاد (٨) وثمود الذين
جابوا الصخر بالواد (٩) وفرعون ذي الأوتاد (١٠)
الذين طغوا في البلاد (١١) فأكثروا فيها
الفساد (١٢) فصبّ عليهم ربُك سوط عذاب (١٣)
إن ربك لبالمرصاد (١٤)}.

سورة الفجر تروي مصارع الطغاة، قوم عاد وقوم ثمود وقوم فرعون، وهم أقوى الجبارين الذين عرفهم التاريخ.

﴿ **فصبّ عليهم ربك سوط عذاب** ﴾ كانوا في ضلال وعزوف عن عبادة الله ونكران لوحدانيته وقدرته.

﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ ثم خاطبت السورة أهل مكة الذين كانوا يتفاخرون بالمال ودفعهم هذا الحب إلى أكل الميراث ولا اعتراف بميراث المرأة. وقد أصاب كثيراً البؤس فلم يطعموهم، وتعاملهم بالربا ولا شيء غير الربا. فجاءهم التهديد:

﴿ **كلا إذا دُكت الأرض دكاً دكاً. وجاء ربك والملك صفاً صفاً. وجيء يومئذٍ بجهنم يومئذٍ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى. يقول يا ليتني قدمت لحياتي. فيومئذٍ لا يُعذب عذابه أحد. ولا يوثق وثاقه أحد** ﴾.

ثم الله عز وجل برحمته طمأن عباده المؤمنين بقوله:

﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾.

﴿ **الفجر** ﴾ والمعروف هو الصبح.. إقبال النهار وإدبار الليل، أجمع عليه أكثر المفسرون. وقول: علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي وغيرهم المراد به: فجر يوم النحر. خاصة وهو خاتمة الليال العشر.

ذكر السيوطي في الإكليل قال:

﴿ **والفجر** ﴾ قال عكرمة: هو الصبح. أخرجه ابن أبي حاتم.. وأخرج سعيد بن منصور البيهقي عن ابن عباس قال: هو المحرم، فجر السّنة. قال الحافظ ابن حجر: وبذلك يظهر حكمة جعل الصحابة أول السنة محرم دون ربيع الذي هو شهر الهجرة التي منها التاريخ.

الليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة. وقد ثبت في صحيح البخاري: (ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام) يعني عشر ذي الحجة.

وبرواية النسائي عن جابر عن النبي ﷺ قال: (إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر).

للفضيلة التي ليست لغيرها.. وهذا أغلب ما قيل.

﴿**والشفع والوتر**﴾ فالمعنى العام كل الأشياء شفعها ووترها.. وقد ذهب بعض الأئمة بإعطاء معانٍ أخرى، منهم مجاهد قال: الشفع: الخلق، والوتر: الله الواحد الصمد. وقال الضحاك وعطاء: الشفع: عشر ذي الحجة، والوتر: أيام منى الثلاثة.. وقول: هما آدم وحواء.. كان آدم وترا فشفع بحواء. وقيل المعنى بذلك الأضداد: الهدي والضلال، والسعادة والشقاء، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس. وقول: الشفع درجات الجنة لأنها ثمان درجات، فالعدد زوجي. والوتر دركات النار لأنها سبع دركات فالعدد فردي.

وقول: إن الشفع أوصاف المخلوقين من: العز والذل، والقدرة والعجز والضعف، والعلم والجهل، والبصر والعمى، وكلها أوصاف ضد بعضها البعض.

وقيل: أن الوتر انفراد صفات الله تعالى: عز بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت.

وقول عكرمة: الوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر – ذاك في التاسع وتراً والثاني يوم العاشر شفعاً –.

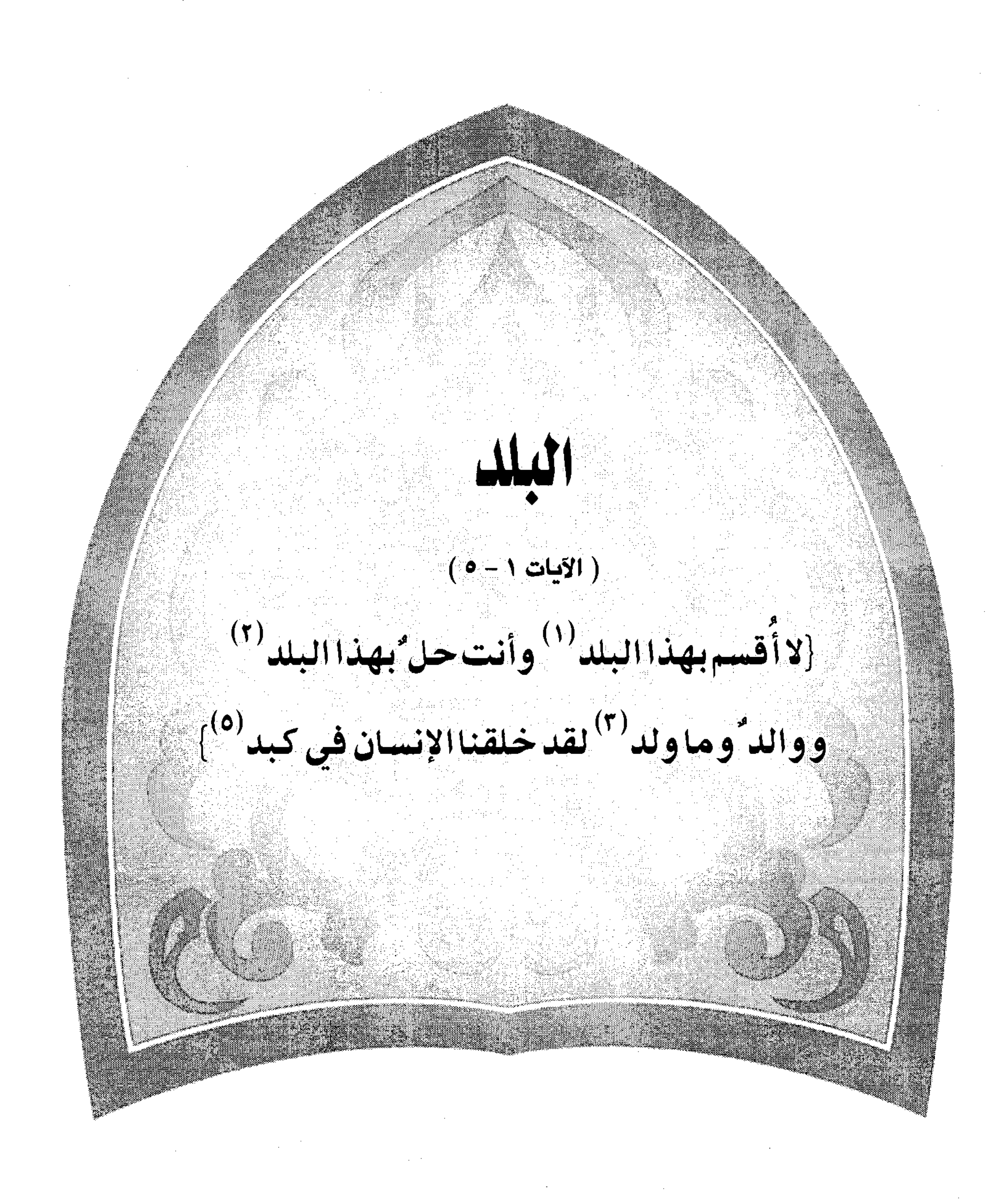
﴿**والليل إذا يسر**﴾ أي: جاء وأقبل. وهذا قَسَم خاص بالليل.. وقال قتادة وعكرمة وغيرهما: هي ليلة مزدلفة خاصة، لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله سبحانه.

وقيل: ليلة القدر لسراية الرحمة فيها، واختصاصها بزيادة الثواب.

وقال الشوكاني: والراجح عدم تخصيص ليلة من الليالي دون أخرى.

﴿**هل في ذلك قسم لذى حجر**﴾ لذى حجر: أي من له عقل.. وهل بعد القسم الذي تقدم والحجة الباهرة يريد أهل العقل براهين أخرى.. ثم سرد الحق عز وجل قصص بها أحداث هلاك أُمم قبلهم، عاد وثمود، وفرعون. وقريش تعلم بقوتهم وجبروتهم في الأرض.

لذا كان السؤال: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك**﴾ ماذا حدث بهؤلاء القوم ﴿**فصبّ عليهم ربك سوط عذاب**﴾ أهلكوا وقصصهم وآثارهم عبرة. فأحذر يا عبدالله ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ وهذا هو جواب القسم.



البلد
(الآيات ١ - ٥)
{لا أُقسم بهذا البلد (١) وأنت حلٌ بهذا البلد (٢)
ووالدٍ وما ولد (٣) لقد خلقنا الإنسان في كبد (٥)}

﴿**لا أقسم بهذا البلد**﴾ (لا) زائدة.. فيكون ﴿**أقسم بهذا البلد**﴾. أقسم الله بمكة، فإن الله جعله حرماً آمناً ومثابةً للناس. وجعل مسجده قبلة لأهل المشرق والمغرب، ومزار عبادة للأمم البائدة، وشرّفه بمقام إبراهيم، وحرّم فيه الصيد، وجعل البيت المعمور بإزائه، ودحت الأرض من تحته. والمسجد الحرام أول بيت وُضع للناس للعبادة. وبمكة وُلد أشرف الخلق ﷺ وترعرع فيها، وبعث فيها حتى هاجر إلى المدينة بأمرٍ من الله في الثالث والخمسين من عمره. فهذه الفضائل وغيرها اجتمعت في مكة دون غيرها أقسم الله بها.

وتشريفاً وتعظيماً لنبيه ﷺ أحل له القتال فيها ساعة من نهار يوم فتح مكة. وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة. فقال: اقتلوه.. فقتله الزبير. واستحلال مكة لنبيه ﷺ تعظيم لشأنه. عليه أفضل الصلاة والسلام.

وفي الحديث المتفق عليه، قال ﷺ: (إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه، وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس. ألا فليبلغ الشاهد الغائب).

﴿**وأنت حلٌ بهذا البلد**﴾ تأكيد حرمة مكة كونها حرام.. فأنت على الخصوص تستحله دون غيرك تشريفاً وتعظيماً لك.. وقد ورد ﴿**لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي**﴾.

ورد في في الإكليل للسيوطي: ﴿**وأنت حلٌ بهذا البلد**﴾ أخرج ابن حاتم عن ابن عباس، قال: أنت يا محمد حلٌ لك أن تقاتل به أما غيرك فلا.

وقال الواحدي النيسابوري: أن الله تعالى لما ذكر القسم بمكة.. دلّ ذلك على عظم قدرها مع كونها حراماً، فوعد نبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يحلها له يقاتل فيها وأن يفتحها على يده ويكون بها حلاً. (انتهى)

وقد بشّر الله نبيه ﷺ بفتح مكة عندما كان عائداً مع المجاهدين من أصحابه من صلح الحديبية. وكان العودة بهم همّا كبيراً جثى على نفوسهم. وأثناء طريق العودة إلى المدينة نزلت على نبينا محمد ﷺ سورة (الفتح) ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مُبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً**﴾. وفيها قال رسول الله ﷺ: (لقد أنزلت عليّ سورةً لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس.. ثم قرأ ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مُبيناً**﴾. الله عز وجل مخاطباً نبيه ﷺ: وقد قضينا لك بفتح مكة وغيرها.

﴿**ووالد وما ولد**﴾ القسم بآدم وذريته. لأنهم أعجب ما خلق على وجه الأرض من أبيض وأصفر وأسود وسحن مختلفة ولما فيهم من البيان والعقل والتدبير وهم عمار الأرض وفيهم الأنبياء والرسل والدعاة إلى الله وقد خلق الله كل شيء على الأرض لهذا المخلوق.

جواب القسم ﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾ فإنه يمر بأطوار نموه في مكابدة وأتعاب، بل مكابدته في شدة حمله وولادته ورضاعته وفترة التسنين وأطوار حياته الأخرى حتى البلوغ، وينتقل إلى طور آخر مكابدة الحياة والصراع فيها.

وقد كان جنيناً في بطن أُمه له من المعاناة نصيب. انظروا فقد مَنّ الله عليه واختصّه على جميع المخلوقات أن يكون في بطن أُمه منتصباً فإذا أذن الله أن يخرج من بطن أُمه قلب (الطفل) الجنين رأسه إلى اتجاه رجلين أُمه - أي المخرج - على خلاف جميع الدواب فالأجنة في بطون أُمهاتها منكبة على رأسها.

قال الحسن البصري في تفسيره لهذه الآية: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

نعم نقول: إنه في نصب وتعب منذ خُلق في بطن أُمه. ثم في حياته على وجه الأرض حتى يموت، ويلاحقه العذاب والنصب بعد الوفاة عند البعث إن كان من العصاة.

والآية في مضمون معناها ترويحاً أيضاً عن المسلمين الذين اضطهدوا وعذبوا أمثال بلال وصهيب وغيرهم. وكذا الرسول لم يسلم من أذى المشركين. أراد الله بهذا التعريف بطبيعة الحياة. وهو إنذاراً للعصاة والطغاة لعلهم يفوقوا من سكرتهم ويرجعوا إلى الله.



الشمس

(الآيات ١ - ١٠)

{والشمس وضحاها(١) والقمر إذا تلاها(٢) والنهار
إذا جلاّها(٣) والليل إذا يغشاها(٤) والسماء وما
بناها(٥) والأرض وما طحاها(٦) ونفسٍ وما
سوّاها(٧) فالهمها فجورها وتقواها(٨) قد أفلح
من زكّاها(٩) وقد خاب من دسّاها(١٠)}.

أخرج البيهقي عن عقبة بن عامر، قال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نُصلي ركعتي الضُحى بسورتيهما بـ ﴿**الشمس وضحاها**﴾ وسورة (الضحى).

كل قسم عظيم لله عز وجل بخلق من خلقه يشير إلينا بتدبرها لأنها ظاهرة كونية عظيمة ومذهلة، وتدبر مخلوقات الله من العبادات الراقية بها نتحسس ونتلمس عظمة القادر فنضع يدنا على حقيقة الخالق القادر، فلا يكون عند الإنسان أدنى شك في أن هذا الكون له مدبر هو: (الله العظيم القدير.. لا إله إلا هو).

أقسم الله عز وجل بسبعة من مخلوقاته العظيمة.. ذات دور فعال في حياة البشر ومن ضروريات الحياة.

﴿**والشمس وضحاها**﴾ أقسم الله بالشمس وضحاها. فلو عاش الخلق بدون شمس لكانت الدنيا ظلاماً سرمدياً مُملاً. وصعب قضاء الحاجات. وناحية أُخرى ففي الليل عند اختفاء الشمس يسكن الخلائق وإذا جاء النهار انتشرت. وهذه الحالة أشبه بالأموات في الليل وفي الصباح صارت الأموات أحياء ودبّت الحياة وتكاملت، وهذا أشبه بيوم القيامة.

قال الشوكاني في فتح القدير، القسم: ورب الشمس ورب القمر وهكذا سائرها، النهار والليل.. هكذا التعاقب في الوضع، كل يعقب الآخر.

وقوله: ﴿**وضحاها**﴾ هو قسمٌ ثانٍ: أي ضوئها وإشراقها، فأضاف الضُحى إلى الشمس، ذلك عندما يكون عند ارتفاعها.. أما قتادة قال: ضحاها: نهارها كله.

﴿**والقمر إذا تلاها**﴾ أي تبعها.. وذلك بأن طلوعها بعد غروبها.

﴿**والنهار إذا جلاّها**﴾ أي جلى الشمس.. فهي تتجلى تمام الانجلاء عند انبساط النهار.

﴿ **والليل إذا يغشاها** ﴾ أي يغشى الشمس بظلامه، فتظلم الآفاق.

﴿ **والسماء وما بناها** ﴾ والقول هنا: والقادر العظيم الشأن الذي بناها فجعل السماء سقفاً للأرض. ومن السماء المطر فيحيي الأرض، ومن السماء الضياء فينير الأرض.

﴿ **والأرض وما طحاها** ﴾ أي بسطها. لذا بسطها لتتلقى ما ينفعها من سقفها.

﴿ **ونفسٍ وما سواها** ﴾ خلقها وأنشأها.. خلقها سوية مستقيمة، ولكن النفوس اختلفت. منهم من استقام ومنهم عصى.

وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله عز وجل: أني خلقت عبادي حُنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم).

﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ أي بين لها الخير والشر.

قال الإمام السيوطي في الإكليل: أخرج مسلم وغيره عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ سُئل: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، شيء قد قضي عليهم في قدر قد سبق أو فيما يستقبلون. قال: (بل شيء قد قضى عليهم أو مضى عليهم) قال: فلم يعملون إذن يا رسول الله، قال: (من كان خلقه الله لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها) وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿ **ونفسٍ وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها** ﴾.

﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ أي: عَرَّفها وأفهمها حالهما، وما فيهما من الحسن والقبيح. وقيل: طريق الفجور والتقوى والطاعة والمعصية.

وقيل: عَرَّفها طريق الخير وطريق الشر.

﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ أي: قد فاز من زكى نفسه وأنماها، وأعلاها بالتقوى، وظفر بكل جميل من الجزاء. وخاب من جرى للمعصية.. وهو جواب القسم.



الليل

(الآيات ١ - ٥)

{والليل إذا يغشى (١) والنهار إذا تجلى (٢)
وما خلق الذكر والأنثى (٣) إن سعيكم لشتى (٤)
فأما من أعطى واتقى (٥)}.

سورة الليل ذكر عنها صاحب الفتوحات الإلهية أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وانفاقه على المسلمين، وفي أمية بن خلف وبخله وكفره بالله. ثم قال: والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿**والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلى**﴾ الليل والنهار ظاهرتان شاملتان يعرفهما الإنسان ويتعايش معهما وتكرر كثيراً في القرآن ذكرهما لعظم هاتين الآيتين وهما من عظمة الخالق - لا إله إلا هو سبحانه - وارتباطهما معاً.. لا نهار بدون ليل ولا ليل بدون نهار.. وقسم الله بهاتين المخلوقين دليل على كبير خلقها.

أقسم الله بالليل حين يغشاه الظلام فتسكن الخليقة وتركن إلى الراحة من عناء النهار، وإذا النهار ظهر تحرك الخلق وكل يجري على مصالحه. فبمنة من الله جعل تعاقب الليل والنهار، ومن فضائله على العباد فلا يكون الليل دوماً ولا يكون النهار دوماً.

فالقسم وقع على أضداد خلقها الله.. الظلام والضياء.. فالمقسم عليه أيضاً متضاداً ﴿**الذكر والأنثى**﴾ لهذا قال تعالى: ﴿**إن سعيكم لشتى**﴾ أي أعمالكم يا عبادي التي تكسبوها أيضاً متضادة ومتخالفة. فمنكم يعمل خيراً ومنكم من يعمل شراً.

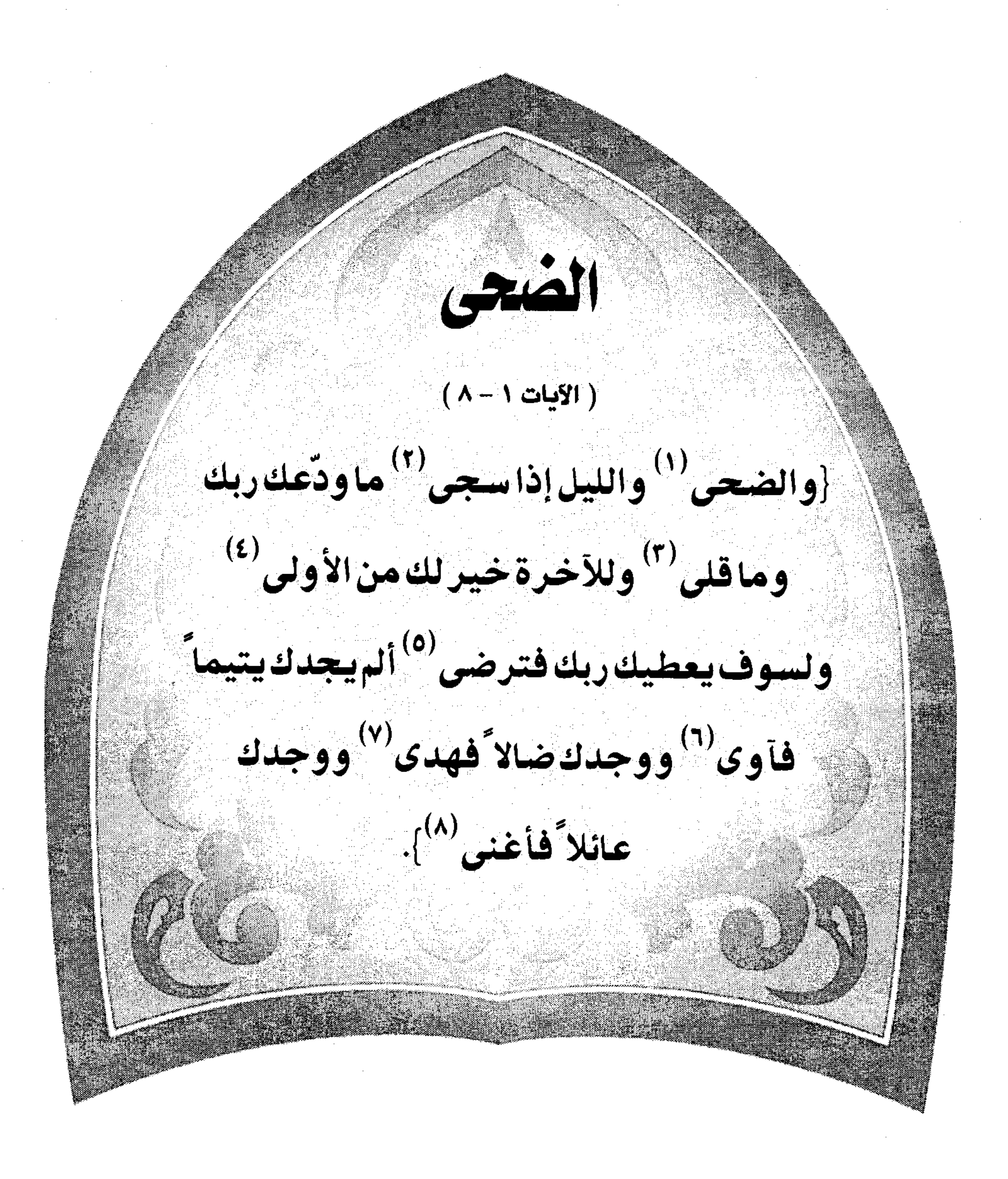
﴿**وما خلق الذكر والأنثى**﴾ هنا (ما) تأتي بمعنى: من.. المفسرون أجمعوا على أنه أقسم بنفسه. أي: والذي خلق الذكر والأنثى. ويشمل الذكر والأنثى ليس الإنسان فقط وبقية الثدييات من الحيوانات وإنما أيضاً الشجر والنبات وغيرهم من المخلوقات فكلهم من ذكر وأنثى. ومعجزة الله عز وجل أنه هو الآمر.. كن فيكون. كن ذكراً فيكون ذكراً وكن أُنثى فيكون أُنثى. أيضاً أشير هنا إلى أن الرابطة بين الذكر

والأنثى هي التركيز عليها في سر القسم.. فلا خالق إلا الله. أما من قالوا أن القسم للآدميين فقط فذلك لاختصاصهم بولاية الله وطاعته.

﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ هو جواب القسم. بمعنى أن أعمال عباده لشتى. فبعضه ضلال يدخله النار والبعض طاعة وهدى فيدخله الجنة.

﴿فأما من أعطى واتقى﴾ أعطى ما أمر بإخراجه من زكاة وصدقة واتقى الله في أفعاله.

﴿وصدق بالحسنى﴾ قيل: بأنعم الله عليه.. وقيل: بلا إله إلا الله.. وقيل: برواية ابن كثير عن محدثين، سُئل رسول الله ﷺ عن الحسنى قال: (الحسنى: الجنة).



الضحى
(الآيات ١ – ٨)
{والضحى (١) والليل إذا سجى (٢) ما ودّعك ربك
وما قلى (٣) وللآخرة خير لك من الأولى (٤)
ولسوف يعطيك ربك فترضى (٥) ألم يجدك يتيماً
فآوى (٦) ووجدك ضالاً فهدى (٧) ووجدك
عائلاً فأغنى (٨)}.

سورة الضُحى نزلت مواساة للرسول ﷺ وهدهدة لروحه. فقد تأخر عنه الوحي خمس عشرة يوماً فقال كفار قريش. إن الله قلى محمد: أي بغضه فتركه وقلاه فأنزل الله هذه السورة.

قد يسأل سائل، لماذا (الضُحى) وفي السورة السابقة (الليل) نقول لأن الليل بطول ساعاته وقت وحشة، وساعة الضُحى نور وإشراق وحيوية وحركة.

ذكر الشوكاني في فتح القدير: لما أبطأ الوحي قالت امرأة للنبي ﷺ: ما أرى شيطانك إلا قد تركك.. فأنزل الله ﴿**والضُحى. والليل إذا سجى. ما ودّعك ربُك وما قلى**﴾.

وقال بوراية أخرى أن المشركين قالوا: قد ودع محمد (أي جبريل) فنزلت: ﴿ **ما ودّعك ربك وما قلى** ﴾ وزاد برواية: إن بعض بنات عمه قُلن: ما أرى صاحبك إلا قد قلاك، فنزلت: (والضُحى) أقسم الله: أي ورب الضُحى.

الضُحى: المراد هنا النهار كله.

﴿**والليل إذا سجى**﴾ إذا سكن وأظلم.

ذكر الشوكاني في فتح القدير وغيره:

الضُحى: الذي كلم الله فيه موسى.

الضُحى: نور الجنة. والليل: ظلمة النار.

الضُحى: الساعة التي خرّ فيها السحرة سجداً.

الضُحى: نور قلوب العارفين. والليل: سواد قلوب الكافرين. (انتهى)

عندما أبطأ عليه الوحي أياماً، فلما علم المشركون ذلك فرحوا وعيروه، فجاءت إليه امرأة وقالت له: ما أرى شيطانك إلا قد تركك. فحزن لذلك النبي ﷺ فأنزل الله سورة

(الضُحى) يقسم له فيها بالضُحى وهو أول النهار من طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى ما قبل الزوال. وأقسم بالليل إذا سجى أي غطى بظلامه المعمورة. يقول ويقسم له ﴿**ما ودعك ربك**﴾ أي يا محمد ما تركتك. ﴿**وما قلى**﴾ ما أبغضك.

﴿**وللآخرة خير لك من الأولى**﴾ (واللام) لكلمة (وللآخرة) للقسم.. أي أعد الله لك الاخرة فيها لك من الملك الكبير والنعيم العظيم والجنة خير لك من الدنيا. فكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا. ولما خير آخر عمره بين الخلد في الدنيا وفي الاخرة الجنة اختار الرفيق الأعلى، وفضل ما عند الله على هذه الدنيا.

روى الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود، قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه. فقلت يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: (مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة راح وتركها).

﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ (واللام) هنا أيضاً للقسم.. ولسوف يعطيك من فضل هذه الدنيا ما يرضيك، وكمال ظهور الدين، ولك أن تشفع لأمتك يوم القيامة، ولك الوسيلة والدرجة الرفيعة في الجنة التي لا تكون لأحد سوى محمد ﷺ.

ثم قال تعالى: ﴿**ألم يجدك يتيماً فآوى. ووجدك ضالاً فهدى. ووجدك عائلاً فأغنى**﴾ هذه ثلاث أشياء من فواضل الدنيا. موت والده وأُمه بعد ولادته ببضع سنوات ضمه إلى عمه أبو طالب، فكان له أباً رحيماً، وكان له حصناً منيعاً ولم يتخل عن الدفاع عنه حتى مات. والثانية: منة العلم والهداية، فقد عصمه الله من كل ما كان عليه القوم في مكة.. والثالثة: الغنى.. لم يمد يده، ولم يتسول. فأغناه الله بغنى النفس.



التين

(الآيات ١ - ٦)

{والتين والزيتون (١) وطور سينين (٢) وهذا البلد الأمين (٣) لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم (٤) ثم رددناه أسفل سافلين (٥) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون (٦)}

ففي هذه السورة أقسم الله عز وجل بأماكن لها علاقة بأمر الدين والإيمان.

﴿**طور سينين**﴾ وهو جبل سينا في فلسطين إذ تم عليه أكبر حدث في تاريخ الحياة وهو أن الله تعالى كلّم موسى بن عمران نبي بني اسرائيل عليه عدة مرات واسمعه كلامه وتجلى للجبل فصار دكاً.

﴿**سينين**﴾ معناها: الحسن أو المبارك - بالسريانية - (سيناء) بلغة النبط.

﴿**البلد الأمين**﴾ مكة، أم القرى التي دحى الأرض من تحتها، وفيها بيت الله وحولها حرمه، وهي أمن في الجاهلية والإسلام.

فقال بعض الأئمة: هذه أماكن ثلاثة.. بيت المقدس، الجبل - طور سيناء - مكة، بعث الله في كل منها نبياً مرسلاً من أولي العزم، أصحاب الشرائع الكبار.

بيت المقدس: عيسى ابن مريم عليه السلام.

طور سيناء: موسى بن عمران عليه السلام.

مكــــــة: محمد ﷺ.

وعن ابن كثير: قالوا وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلّم الله عليه موسى بن عمران.

وأشرق من ساعير: يعني جبل بيت المقدس، الذي بعث الله منه عيسى.

جبال فاران - يعني جبال مكة - : التي أرسل الله منها محمد ﷺ.

فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم بالأشرف منها - يعني مكة. (انتهى)

﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ هذا جواب القسم: فالله سبحانه وتعالى أخبرنا بأنه خلق الإنسان أحسن خلقه حياً عالماً، قادراً مريداً، متكلماً،

سميعاً، بصيراً، مدبراً، حكيماً، منتصب القامة، سوى الأعضاء، وجعل له الحواس الخمسة أدوات التعلم. فليس له عذر في تكذيب هذا الدين.

﴿**ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات. فلهم أجرٌ غير ممنون**﴾ أي أن الإنسان إذا أمد الله عمره إلى خمس وسبعين، وقول خمس وتسعون، رددناه إلى أرذل العمر، وهو الهرم، والضعف بعد الشباب حتى يصير كالصبي، فيخرف وينقص عقله وتنحسر مداركه. وحلت رحمة الله سبحانه فاستثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات في شبابهم فأجرهم غير منقطع.

قال الزمخشري: الذين كانوا صالحين من الهرمي فلهم ثواب دائم.

وفي القرطبي: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. فإنهم لا يخرفون ولا تذهب عقولهم. وهذا الاستثناء حيث أُخرجوا من الرد إلى أسفل سافلين.

ذهب المفسرون إلى كثير من المراد ﴿**بالتين والزيتون**﴾ فاختلفوا.

فمنهم من قال: التين: المسجد الحرام. والزيتون: المسجد الأقصى.

وقول: التين: مسجد دمشق. والزيتون: مسجد بيت المقدس.

وقول: التين: دمشق. والزيتون: بيت المقدس.

وقول: التين: طور تيناً، وهو جبل بجوار دمشق.

وقول: التين: هو إشارة إلى شجرة التين التي راح آدم وزوجه يخصفان من ورقها على سوآتهما في الجنة قبل هبوطهما إلى أرض الدنيا.

وقول: التين: هو منبت التين في الجيل الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام.

أما الزيتون، قيل: أنه إشارة إلى طور زيتاً في بيت المقدس.

وقول: الزيتون: هو إشارة إلى بيت المقدس.

وقول: الزيتون: هو إشارة إلى غصن الزيتون الذي عادت به الحمامة التي أطلقها

نوح عليه السلام من السفينة لترتاد حالة الطوفان. فلما عادت ومعها هذا الغصن عرف أن الأرض انكشفت وانبتت.

والتين والزيتون: هما ما يؤكل.

قال الإمام الشوكاني: وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الأئمة على العدول عن المعنى الحقيقي في اللغة العربية والعدول إلى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى، المبنية على الخيالات لا ترجع إلى عقل ولا نقل.

أقسم الله عز وجل بالتين والزيتون لما فيهما من المنافع الجليلة للإنسان. وقسم الله العظيم بمخلوقاته ذات العلاقة والرابطة بالإنسان والحياة. وننقل ما ذكره صاحب الفتوحات عن هذين النبتين:

قال: أما التين أنه غذاء وفاكهة ودواء. أما كونه غذاءً فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويخرج بطريق الرشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال، وهو خير الفواكه.

وروى أن النبي ﷺ، قال: كلوا التين فإنه يقطع البواسير.

وعن بعضهم: التين يزيل نكهة الفم، ويطول الشعر، وهو أمان من الفالج. أما كونه دواء فلأنه سبب في إخراج فضلات البدن وهو مأكول الظاهر والباطن دون غيره.

وقد تستر آدم بورق التين حين فارق الجنة عندما بدت سوأته. وهو يشبه فاكهة الجنة لأنه بلا عجم.

أما الزيتون: فهو فاكهة من وجه، ودواء من وجه. ويستصبح به. (انتهى)



العاديات

(الآيات ١ - ٦)

{والعاديات ضبحا(١) فالموريات قدحا(٢)

فالمغيرات صبحا(٣) فأثرن به نقعا(٤)

فوسطن به جمعا(٥) إن الإنسان لربه لكنود(٦)}

قال النيسابوري في أسباب النزول. قال مقاتل: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حي من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري فتأخر خبرهم. فقال المنافقون: قتلوا جميعاً. فأخبر الله عنها. فأنزل: ﴿**والعاديات ضبحاً**﴾ يعني: تلك الخيل.

وذكر السيوطي في الإكليل، قال: ﴿**والعاديات ضبحاً**﴾ فيها تفضيل الجهادوالمجاهدين على أن معنى العاديات خيلهم.. لإخرجه البزاز عن ابن عباس.

وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس، قال: سألني رجل عن العاديات، فقلت له: الخيل حين تغزو في سبيل الله ثم تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم. فذهب إلى علي فأخبره فدعاني فقال: تفتي الناس بما لا علم لك. إنما ﴿**العاديات ضبحاً**﴾ من عرفة إلى مزدلفة. فإذا آووا إلى مزدلفة أوروا النيران ﴿**والمغيرات صبحاً**﴾ من المزدلفة إلى منى. قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال.

أقسم الله عز وجل بمخلوق محبب إلى الإنسان وله دور في حياته. لذا فهذا المخلوق عزيز قيم يتباهى به ويزهو به الإنسان.. إنه الخيل. يركبه العظماء ويقتنيه الأغنياء يكر به الفرسان. يصد به الأعداء.

فإذا ما كان النزال عدت الخيل ومن عَدْوها قدح الشرر من حوافرها، وثار الغبار لسرعة جريها وكانت المغيرة مع الصباح. فتأخذ العدو على حين غِرة وتثير في صفوفه الذعر والفرار.. وهنا نقول أن الله ربط بين الخيل والحرب. وهذا هو المعروف قديماً.. الخيل للمعارك الحربية.

أقسم الله بنعمة من نعمه على العباد. ﴿**والعاديات ضبحاً**﴾ وهي الخيل عندما تعدو تخرج صوتاً خاصاً غير الصهيل المعروف.

﴿**الموريات قدحاً**﴾ أي الخيل توري ناراً بحوافرها إذا مشت على الصخر ليلاً، فهي تقدح.

﴿**فالمغيرات صبحاً**﴾ أي الخيل عندما يركبها الفرسان صباحاً للإغارة على العدو.

﴿**فأثرن به نقعاً**﴾ فزحفها ذلك يثير الغبار، وهنا إشارة إلى الصباح فالغبار لا يُرى في الليل.

﴿**فوسطن به جمعاً**﴾ فصرنا وسط تجمع الأعداء.

هذا ما أقسم به الله عز وجل.. الخيل ذات الصفات الثلاث: العدو، والأوراء، والإغارة.

والمقسم عليه، قوله: ﴿**إن الإنسان لربه لكنود**﴾ وهو الإنسان الكافر والجاهل بربه - أي الكفور - كافر جحود بنعم الله جاحد للحق. وإنه لشهيد على نفسه بأعماله وأقواله ونسيانه، فهو شهيد على نفسه بالكفر والجحود.

أقسم الله ﴿**وإنه لحب الخير لشديد**﴾ أي حبه للمال، وأنانيته لجمعه.. أفلا يعلم أنه إذا بعثوا ومثلوا أمام الله تكشف وتجيش الصدور بما عملوا. والله أعلم بكل خفايا الأنفس.



العصر

(الآيات ١ - ٣)

{والعصر (١) إن الإنسان لفي خُسر (٢)
إلا اللذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (٣)}

لو أخذنا بالمقصود بالعصر صلاة العصر فذلك لفضلها.. فهي الصلاة الوسطى. وبصلاة العصر يختم المسلم طاعات النهار. وقيل: العصر.. الدهر كله، لما فيه من العبر. وتعاقب الليل والنهار وما يحدث في مختلف الأزمنة وما وقع فيه بني آدم من خيرٍ وشرٍ. فهو من النعم إذا أحسن الإنسان استثماره في طاعة الله، وخسر بفعله العكس.

﴿**إن الإنسان لفي خُسر**﴾ خسران الدنيا والآخرة بأفعاله السيئة. وهذا جواب القسم.

إن قسم الله عظيم بالأمور ذات العلاقة الكونية وارتباط الوجود في التركيبة. وهنا أقسم الله بالعصر ثم أردف خسران الإنسان. فالإنسان مرتبط بالعصر إن كان الزمن الذي يحسب بالثواني أو العصر إن كان المقصود عمر الدنيا. فالتفريط في زمن عمرك يا بني آدم خسارة فادحة إن لم تستثمر ذلك العمر من الزمن المحدود. فلكل أجلٍ كتاب.

استثمار الزمن في ذكر الله وتدبر عظمته وقدرته في مخلوقاته. استثمار الزمن في أعمال الخير وتجنب المعاصي. ﴿**إن الإنسان لفي خُسر**﴾.

ثم الله رحمة منه ومنة استثنى من جنس الإنسان عن الخسران.. الذين آمنوا بقلوبهم قال: ﴿**إلا الذين آمنوا**﴾ وليس الذين آمنوا فقط ولكن.. ﴿**وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق**﴾ بأداء الطاعات وترك المحرمات. ﴿**وتواصوا بالصبر**﴾ احتمال المصائب والأقدار فالإنسان أمام الخسران في حياته العامة سواء بتجارة أو غيره.

هؤلاء هم الذين إن شاء الله ليسوا بالخاسرين ولم تذهب حياتهم سُدى، بل جمعوا رصيداً لليوم الآخر.

المراجــع

القرآن الكريم ....

تفسير ابن كثير ....

تفسير القرطبي ....

تفسير الزمخشري ....

تفسير الطبري ....

فتح القدير .... الشوكاني

أيسر التفاسير .... الجزائري

تيسير الرحمن .... عبدالرحمن السعدي

في ظلال القرآن .... سيد قطب

الفتوحات الإلهية .... الجمل

قبس من نور القرآن .... محمد علي الصابوني

الإكليل .... السيوطي

أسباب النزول .... الواحدي النيسابوري

باب النقول في أسباب النزول .... السيوطي

التذكرة .... القرطبي

الفهـــرس

تابـــع الفهـــرس

طبع بمطابع
دار الفنون للطباعة والنشر والتغليف
Dar AL-FUNOON Printing Press
ص.ب ٧٤٣٢ جـــــرة ٢١٤٦٢
تليفون ٦٥١٦١٣١/٦٥٣٠٧٦٨